سورة الزخرف
على مائدة الدرس النحوى

د. عبد العاطى جاب الله سالم

بسـم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تفرد بجلال ملكوته ، وتوحد بعلو أحديته ، وتقدس بسمو صمديته . وأصلى وأسلم على سيدنا محمد رسـوله المصطفى وأمينه المجتبى ، وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى .

وبعـد

فهذه دراسة نحوية لأسلوب القرآن الكريم من خلال سورة الزخرف وقفت فيها مع بعض الآيات التى تحمل قضايا نحوية تحتاج الى بحث ونظر ، وأما ما كان اعرابه جليا لا يحتاج الى انعام نظر أو كد فكر فاننى لم أعرض له . وأعتقد أن هذا اللون من الدراسـة النحوية من أنجح الدراسات النحوية وأعلاها فائدة ، لأن النحو أسـلوب قبل أن يكون قاعدة ، ولأن الهدف من دراسـة النحو تربية الملكة العربية وتدريب اللسان على النطق الفصيح ، ولا يتأتى هذا الهدف الا عن طريق معايشة الأسلوب العربى البليغ ، أما دراسة النحو عن طريق تقديم قواعد صماء فهى لاتنهض بتربية ملكة وقلما تقيم لسانا أو تصنع بيانا من أجل هذا

آثرت أن أعيش مع القرآن الكريم فى سورة من سوره ، هى سـورة الزخرف ليجلى لنا أسلوبها ما أسسه النحويون من قواعد مستوحاة من ذلك الأسلوب والله أسأل أن يكون عملى خالصا لوجهه نافعا لأبناء العربية، فان تجلت فائدة البحث للقارىء فهذا ما أبتغيه ، وإن كـانت الأخرى فحسبى أننى دعوته ليعيش على مائدة القرآن الكريم وفى ظلال سورة من سوره الوارفة الظلال ، والله الموفق

د ٠ عبد العاطى جاب الله سالم

مقدمة

اعراب أسماء السور :

من أسماء السور ما يحتاج عند اعرابه الى بعض تأمل ومن ذلك :
هود ونوح :

تقول : هذه هود كما ترى اذا أردت أن تحذف سورة من قولك : هذه سورة هود فيصير هذاكقولك : هذه تميم كما ترى •

وان جعلت هودا اسم السورة لم تصرفها ، لأنها تصير بمنزلة امرأة سميتها بعمرو ، والسورة بمنزلة النساء والأرضين •

وأما نوح فبمنزلة هود ، تقول: هذه نوح ، اذا أردت أن تحذف سورة من قولك : هذه سورة نوح •

ومما يدلك على أنك حذفت سورة قولهم : هذه الرحمن ، ولا يكون هذا أبدا الا وأنت تريد سورة الرحمن •

وقد يجوز أن تجعل (نوح) اسما ، ويصير بمنزلة امرأة سميتها بعمرو، ان جعلت (نوح) اسما لها لم تصرفه باجماع ، لأن نوحا اسم أعجمى ، فهو ينصرف اذا كان اسما لمذكر وما كان مثله ، ولا ينصرف اسما لمؤنث باجماع ، لأنه تجتمع فيه العجمة والتأنيث (١) •

يونس وابراهيم :

وأما يونس وابراهيم فغير مصروفين للسورة جعلتهما أو للرجلين للعجمة، ويدلك على ذلك أنك اذا قلت : هذه يونس أنك تريد : هذه سورة يونس فحذفت كما أنك تقول : هذه الرحمن (٢) •

---

(١) سيبويه ٣٠/٢ ، والمذكر والمؤنث لمبرد ورقة ١٤٥ •
(٢) المقتضب ٣٥٥/٣ •

قاف وصاد ونون :

فأما قولك هذه نون فلك فى (نون) ثلاثة أوجه :

ــ ان شئت قلت : هذه نون ، تريد هذه ســورة ونون ، وتحذف السورة ، كما قلت فى هود •

ــ ان شــئت قلت : هذه نون ، تريد هذه ســورة نون ، وتحذف ما كان يلفظ به فى السورة •

ــ وان شئت قلت : هذه نون ياهذا ، فجعلتها اسما للسورة ولم تصرفهــا •

وفيها وجه رابع : أن تصرفها وأنت تريد اسم السورة ، لأن (نون) مؤنثة ، فتصرفها فيمن صرف (هذا) • والأجود ترك الصرف • وكذلك (قاف وصاد) على ما فسرنا فى (نون) (٣) •

السور المسماة بفعل :

اذا سميت السورة بفعل أجريته مجرى الأسماء ، وذلك أنك تقول اذا أضــفت الى اقتربت : قرأت ســورة اقتربه ، لأنك اذا ســميت بفعل فيه تاء تأنيث صــارت فى الوقف هاء ، لأنك نقلتــه الى اســم ، فصار آخره كآخر (حمدة) لأنك فى الأصل مدرج بالتاء ، والتاء علامة التأنيث ، وانما تبدل منها فى الوقف هاء ، وتقطع ألف الوصل ، كما أنك لو سميت رجلا بقولك (اضرب) فى الأمر قطعت الألف حتى تصير كألفات الأسماء ، فتقول : اضرب قد جاء ، فتصير بمنزلة اثمد ، فعلى هذا قلت : هذه اقتربه •

فان وصلت قلت : هذه سورة اقتربت الساعة ، لأنها الآن فعل رفعت بها الساعة ، وسميت بهما جميعا ، كما أنك لو سميت رجلا (قام زيد)

(٣) ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ص ٦٢ •

لقلت : هذا قام زيد ، لأنك سميت بفعل وفاعل (٤) ٠

حم طس ويس :

وأما حاميم فانه اسم أعجمى لاينصرف للسورة جعلته أو للحرف ، ولا يقع فى أمثلته العرب ٠ لا يكون اسم على فاعيل٠فانما تقديره تقدير هابيل٠وكذلك طس ويس ، فيمن جعلهما اسمين ، كما قال لما جعله اسما للسورة :

يذكرنى حاميم والرمح شاجر
فهلا تلا حـاميم قبل التقـدم

وقال الكميت :

وجدنـا لكم فى آل حـاميم آية
تأولهـا منـا تقى ومعرب

وان أردت فى هذا الحكاية تركته وقفا على حاله (٥) ٠

طسـم :

وأما طسم فان جعلته اسما لم يكن بد أن تحرك النون وتصير ميما كأنك وصلتها الى طاسين ، فجعلتها بمنزلة دارب جرد ، وبعل بك ، وان شئت حكيت وتركت السواكن على حالها ٠

كهيعص والمر :

وأما كهيعص والمر : فلا يكن الا حكاية ، وان جعلتها بمنزلة طاسين لم يجز (٦) ٠

---

(٤) المقتضب ٣٦٦/٤ ، ٣٦٧ ٠
(٥) السابق ٣٥٥/٤ ، ٣٥٦ ، والكتاب ٣٠/٢ ٠
(٦) الكتاب ٣٠/٢ ، ٣١ ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حم • والكتاب المبين • انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون • وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم • أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين •

حـــم :

هى وأمثالها مما ابتدىء به بعض سور القرآن الكريم أسماء مدلولها حروف المعجم ولذلك نطق بها نطق حروف المعجم •

حكمها :

وهى موقوفة الآخر لأنها حروف مقطعـــة ، لأن حق الحروف فى التهجى التقطيع كما قال :

أقلبت من عند زيـــــاد كالخرف
تخط رجلاى بخــط مختــلف
تكتبان فى الطريق لام ألف (١)

---

(١) المقتضب للمبرد ٤/٣٥٦ ، ٣٥٧ •

ولا يقال : انها معربة ، لأنها لم يدخل عليها عامل فتعرب ، ولايقال: انها مبنية ، لعدم سبب البناء (٢) •

وعند وصلها بما بعدها اذا حذفت منه ألف الوصل تفتح كقولـه تعالى الم الله (٣) لأنه لمـا كان من كلامهم أن يفتحوا لالتقاء الساكنين فتحوا هذا وفرقوا بينه وبين ما ليس بهجاء فلم يكسروه أو يضموه ؛ لأنهم لم يجعلوه فى ألف الوصل بمنزلة غيره ، ولكنهم جعلوه كبعض ما يتحرك لالتقاء الساكنين • ونحو ذلك :

ألا رب مولود وليس لـه أب
وذى ولـد لـم يلـده أبوان

وانما حذفوا ألف الوصل هاهنا بعد السـاكن لأن من كلامهم أن يحذف وهو بعد غير الساكن ، فلما كان ذلك فى كلامهم حذفوها ها هنا وجعلوا التحرك للساكنة الأولى ، حيث لم يكن ليلتقى ساكنان ، وجعلوا هذا سبيلها ليفرقوا بينها وبين الألف المقطوعة (٤) •

وأسـماء حروف المعجم قابلة لتركيب العوامل عليها فتعرب ، تقول : هذه ألف حسنة ونظير صرد هذه الأسماء موقوفة أسماء العدد ، اذا عدوا يقولون : واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة (٥) •

والكتاب المبين :

من جعل (حم) قسما كانت الواو للعطف ، ومن قال غير ذلك جعلها للقسم (٦) ، وجوابه : انا جعلناه قرآنا عربيا • وهو من الأقسام الحسنة

---

(٢) البحر المحيط ٣٢/١ •
(٣) الآيتان ١ ، ٢ من سورة آل عمران •
(٤) انظر الكتاب ٢٧٥/٢ •
(٥) البحر المحيط ٣٢/١ •
(٦) املاء ما من به الرحمن ٢٢٦/٢ •

التناسب القسم والمقسم عليه ، وكونهما من واو واحد • ووجه التناسب أنه تعالى أقسم بالقرآن ، وانما تقسيم بعظم ، ثم جعل المقسم عليه تعظيم القرآن بأنه قرآن عربى مرجو به أن يعقلبه العالمون ، فكان جواب القسم مصححا للقسم ، ونظيره قول أبى تمام :

وثناياك انها اغريض

أقسم بالثنايا ، وانما يقسم الشعراء بمثل هذا للاشعار بأنه فى غاية الحسن ، ثم جعل المقسم عليه كونها فى غاية الحسن لأنها اغريض (والاغريض : الطلع والبرد) وهو من أحسن تشبيهات الثنايا (٧) •

انا جعلناه قرآنا عربيا :

جواب القسم

وجعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين • فيكون (قرآنا عربيا) مفعولا ثانيا •

وقال الزمخشرى : « أو بمعنى (خلقناه) معدى الى واحد كقوله تعالى : (وجعل الظلمات والنور) (٨) و (قرآنا عربيا) حال (٩) » •

وهو خطأ لأن القرآن ليس بمخلوق •

لعلكم تعقلون :

لعل : للتعليل ، أى لكى تفهموا معانيه •

وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم :

---

(٧) انظر البحر المحيط ٥/٨ والكشاف ٤٧٧/٣ والانتصاف ٤٧٧/٣ ، ٤٧٨ •

(٨) من الآية ١ من سورة الأنعام •

(٩) الكشاف ٤٧٧/٣ •

الجملة معطوفة على جواب القسم ، فهو جواب ثان •

و (فى أم الكتـــاب) يتعلق بـــ (على) واللام لاتمنع ذلك قال ابن هشـــام : « وليس لها أى لام الابتداء الصدرية فى بـــاب (ان) لأنها فيه مؤخرة من تقديم ، ولهذا تسمى المزحلقة ، وذلك لأن أصل ان زيدا لقائم : ان لزيدا قائم ، فكرهوا افتتاح الكلام بتوكيدين ، فأخروا اللام دون (ان) لئلا يتقدم معمول الحرف عليه » (١٠) •

و (لدينا) بدل من الجار والمجرور ، ويجوز أن يكون حـــالا من (الكتاب) أو من (أم) ولا يجوز أن يكون واحد من الظرفين خبرا ، لأن الخبر قد لزم أن يكون (على) من أجل اللام ، ولكن يجوز أن يكون كل واحد منهما صفة للخبر فصارت حالا بتقدمها •

أفنضرب عنكم الذكر صفحا :

يرى الزمخشرى أن الفاء للعطف على محذوف تقديره : أنهملكم فنضرب عنكم الذكر صفحا (١١) فهو يرى أن الواو والفاء بعد الهمزة فى أولم وأفلم وأولما وأفلما واقعتان موقعهما من غير تقديم ولاتأخير ، ويضمر بين الهمزة وحرف العلة جملة فعلية حتى يصبح العطف عليها فيقدر فى كل موضع ما يناسبه ، فيقدر فى (أفلم يسيروا) أمكثوا فلم يسيروا ونحوه •

وذهب سيبويه والنحويون الى أن الفاء والواو منوى بهما التقديم لعطف ما بعدهما على ما قبلهما ، وأن الهمزة تقدمت لكون الاستفهام له صدر الكلام • قال ســـيبويه (١٢) : « وهذه الواو لا تدخل على ألف الاستفهام ، وتدخل عليها الألف ، فانما هذا استفهام مستقبل بالألف ،

---

(١٠) المغنى ١/١٩١ •
(١١) انظر الكشاف ٣/٤٧٨ •
(١٢) الكتاب ١/٤٩١ •

ولا تدخل الواو على الألف ، كما أن هل لاتدخل على الواو، فانما أرادوا ألا يجروا هذه الألف مجرى (هل) اذ لم تكن مثلها ، والواو تدخل على هل..وهذه الواو بمنزلة الفاء فى قوله تعالى : «أفأمنوا مكر الله»(١٣).

وقد فصل أبو حيان رأى الجمهور بقوله :

« ويجوز توسط الواو والفاء بين الهمزة وبين لم ولما ، وعما اذ ذاك للعطف ، ويعطفان ما بعدهما من الجمل على ما قبلهما .

وكان القياس أن تتقدم الواو والفاء على (ألم وألما) لأن أصل حرف العطف أن يتقدم على الجملة المعطوفة ، ولا يكون بين أثناء الجملة ، تقول قام زيد وقد خرج عبد الله . فكان ينبغى أن يقال : وألم فألم وألما فألما لكن الاستفهام بالهمزة لما كان له صدر الكلام ، وحرف العطف قد لا يكون صدرا ، وذلك اذا دخل على المفرد ، نحو قام زيد وبكر ، قدموا ما له الصدر دائما على الحرف الذى يعرونه فى بعض الأحوال ، فلو كان الاستفهام بغير الهمزة تقدم الحرف عليه نحو قام زيد فهل قام عبد الله؟ وانما كان ذلك كذلك لأن (هل) فى الحقيقة ليست حرف استفهـــام ، والأصل فيها (أهل) فحذف الاستفهـــام منهـــا لكثرة استعمالهـــا فى الاستفهام ، ولذلك اذا اضطروا رجعوا الى الهمزة قال :

سـَـــائل فوارس يربوع بشدتنا

أهل رأونا بسفح القف ذى الأكم

وزعموا أن (هل) بمنزلة (قد) ولا يتأتى ذلك الا اذا دخلت(هل) على الجملة الفعلية المثبته ، أما اذا دخلت على الجملة الاسمية فلا تكون اذ ذاك بمنزلة (قد) لأن (قد) لاتدخل على الجملة الاسمية (١٤) .

ثم عاد ورد رأى الجمهور بقوله :

---

(١٣) من الآية ٩٩ من سورة الأعراف .

(١٤) التنزيل والتكميل ٧٧٨/٦ .

«أما قول الجمهور ففيه دعوى أن الفاء والواو كانا للعطف وأخرا لأجل همزة الاستفهام ، لأن لها صدر الكلام ، وهو منقوض بدخول حرف العطف على ما له صدر الكلام ، ولم يؤخر عنه ، نحو دخوله على أدوات التحضيض ولام الابتداء وادوات الشرط وكل هذه لها صدر الكلام وأيضا فانهما لو كانا لعطف الجمل على التى قبلها ، فلا مناسبة لأن يعطف على الجمل التى صدرت بهذا الاستفهام ، فكثير منها لايصح العطف عليها ، ولاسيما على مذهب من يشترط المناسبة فى عطف الجمل ، فلا يعطف أمرا على خبر ، ولا خبرا على استفهام ولا عكس ذلك (١٥) ٠

ثم هو وان أورد هذا النقض على رأى الجمهور الا انه ارتضـــاه فى كتابه البحــر المحيط ورجحه فقـــال : « كما وأن المذهب الصحيح قول سيبويه والنحويين : ان الفاء والواو منوى بها التقديم لعطف ما بعدهما على ما قلبهمـــا ، وأن الهمـــزة تقدمت لكـــون الاستفهام له صـــدر الكلام »(١٦) ٠

وقد ذكر أن الزمخشرى رجع عن رأيـــه فى بعض تصاريفه ، وقد لمحت ذلك فى كتابه المفصل حيث ذكر أن الهمزة لعموم تصرفها فى بابها قد تقـــع قبل الواو والفـــاء وثم وأن موقعهـــا انما هو بعـــد حرف العطف فقال :

« والهمزة أعم تصرفا فى بابهـــا من اختها ، تقـــول : أزيد عندك أم عمرو ، وأزيدا ضربت وأتضرب زيدا وهو أخوك ، وتقول لمن قال لك : مررت بزيد : أبزيد ، وموقعها قبل الواو والفاء وثم قال الله تعالى: « أو كلما عاهدوا عهدا » (١٧) وقال : « أفمن كان على بينة » (١٨) وقال : « أثم اذا ما وقع »(١٩) ولا تقع هل فى هذه المواقع »(٢٠) ٠

---

(١٥) السابق ٧٧٩/٦ ٠ (١٦) البحر المحيط ٥/٨ ٠

(١٧) ١٠٠ البقرة (١٨) ١٧ هود (١٩) ٥١ يونس ٠

(٢٠) انظر المفصل للزمخشرى من شرح المفصل لابن يعيش ١٥٠/٨

صـفحا :

قال أبو البقاء العكبرى : (صفحا) مصدر من معنى (نضرب) لأنه بمعنى نصفح ، ويجوز أن يكون حالا(٢١) .

وقال الزمخشرى : « وصفحا على وجهين » : اما مصدر من صفح عنه اذا أعرض ، منتصبا على انه مفعول له ، على معنى أفنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم ، واما بمعنى الجانب ، من قولهم : نظر اليه بصفح وجهه على معنى : أفننحيه عنكم جانبا ، فينتصب على الظرف ، كما تقول : ضعه جانبا وامش جانبا ، وتعضده قراءة من قرأ (صفحا) بالضم .

وفى هذه القراءة وجه آخر ، وهو : أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال أى صافحين معرضين »(٢٢) .

وقال ابن عطية : انتصابه انتصاب (صنع الله) فى قوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله » فيكون مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة السابقة كما أن « صنع الله » مصدر مؤكد لمضمون جملة الحل ، أى صنع الله بها ذلك وهو قلعهـا من الأرض ومرها مرا مثل مر السحاب : فالعامل فيه مضمون من لفظه .

قال أبو حيان : « ولا يظهـر هذا الذى قاله ، فليس انتصـابه انتصاب صنع الله(٢٣) .

فجملة الأقوال فى « صفحا » أربعة :

---

(٢١) املاء ما من به الرحمن ٢/٢٢٦ .
(٢٢) الكشاف ٣/٤٧٨ .
(٢٣) البحر المحيط

ـ أحدها : أنه مصـدر فى معنى نضرب ، لأنه يقال : ضرب عنه وأضرب عنه بمعنى أعرض .

ـ والثانى : أنه منصوب على الحال من الفاعل أى صافحين .

ـ والثالث : انه منصوب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة فيكون عامله محذوفا نحو « صنع الله » .

ـ والرابع : انه مفعول من أجله .

ان كنتم قوما مسرفين :

قرأ الجمهور (أن) بالفتح على العلة مفعـولا لأجله ، أى لأن كنتم ، كأنهم أرادوا شيئا ماضيا ، وأنت تقول فى الكلام : أ أسبك أن حرمتنى ؟ تريد اذ حرمتنى .

وقرأ نافع وحمزة والكسائى وأبو جعفر وخلف والأعمش والحسن ، (ان) بكسر الهمزه على انها شرطية ، وان كان اسرافهم محققـا ، على سبيل المجاز . وجوابه مقدر ، تفسيره (أفنضرب) أى ان أسرفتم نتركم(٢٤) .

قال الزمخشرى : « فان قلت : كيف استقام معنى (ان) الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت ؟ قلت : هو من الشرط الذى ذكرت انه يصدر عن المدل بصحة الأمر المتحقق لثبوته كما يقول الأجير : ان كنت عملت لك فوفنى حقى ، وهو عـالم بذلك ، ولكنه يخيـل فى كلامه أن تفريطك فى الخروج عن الحق فعل من له شك فى الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له »(٢٥) .

---

(٢٤) الاتحاف ص ٣٨٤ .
(٢٥) الكشاف ٣/٤٧٨ .

ومثله : « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم »(٢٦) :

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على انها شرطية • والباقون بالفتح على انها علة الشنآن(٢٧) ومثله : (فلعلك باخع نفسك آثارهم ان لم يؤمنوا)•

والعرب تنشد قول الفرزدق :

أتجــزع ان أذنــا قتيبــة حزتا
حهارا ولم تجزع لقتل ابن خازم

أتجزع أن بان الخليط المــودع
وحبل الصفا من عــزة المتقطع

وفى كل واحد من البيتين ما فى صاحبه من الكسر والفتح(٢٩) •

« وكم أرسلنا من نبى فى الأولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزئون فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولون خلقهن العزيز العليم • الذى جعل لكم الأرض مهــدا وجعل لكم فيها ســبلا لعلكم تهتدون • والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون » •

وكم أرسلنا من نبى فى الأولين :

كم خبرية مفعول مقــدم لأرسلنا ، ومن نبى : تمييز لهــا ، وفى الأولين متعلق بأرسلنا •

---

(٢٦) المائدة ٢ •
(٢٧) الاتحاف ١٩٨ •
(٢٨) الكهف ٦
(٢٩) معانى القرآن للفراء ٣/٢٧ ، ٢٨ •

وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزئون :

يأتيهم بمعنى أتاهم ، فاستعمل المضارع بمعنى الماضى •
فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين :
أشد منهم : نعت لمحذوف هو المفعول فى الحقيقة ، أى أهلكنا قوما هم المستهزئون برسلهم أشد منهم •

والضمير فى (منهم) عـائد على (قوما) فى قـوله تعالى (ان كنتم قوما مسرفين) •

بطشا : تمييز ، وقيل : مصدر فى موضع الحال من الفاعل ، أى أهلكناهم باطشين والأول أوجه •

ولـئن سـألتهم من خلـق السـموات والأرض ليقـولن خلقهن العزيز العليم :

(لئن) اللام لام القسم ، والجواب المذكور وهو قوله (ليقولن) جواب القسم حذف منه نون الرفـع لتوالى النونات ، وحـذفت واو الضمير لالتقاء الساكنين • و (ان) شرطية وحذف جوابها اكتفـاء بجواب القسم على قاعدة اجتماع القسم والشرط ، فانه يحذف جواب المتأخر منها اذا لم يتقدم عليهما ذو خبر ، أمـا اذا تقدمهـا ذو خبر فالأرجح أن يكون الجواب للشرط تقدم أو تأخر • خلافا للفراء فانه أجاز جعل الجواب للشرط مع تأخره عن القسم وان لم يتقدم ذو خبر واستدل بقول العقيلية :

لئن كان ما حدثته اليوم صادقا
أصم فى نهار القيظ للشمس باديا
وأركب حمارا بين سرج وفروة
وأعر عن الخاتام صغرى شماليا

وقول الشـــاعر :

لئن منيت بنـــا عن غب معركـــة

لا تلفنا عن دماء القـــوم ننتفل

ومنع ذلك الجمهور ، وتأولوا ما ورد على انه ضرورة أو على أن اللام من (لئن) زائدة لا موطئة للقسم .

(خلقهن العزيز العليم) كرر الفعل للتوكيد : اذ لو جاء العزيز بغير خلقهن لكان كافيا كقولك : من قام ؟ فيقال : زيد ، وفيها دليل على أن الجلالة الكريمة من قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله مرفوعة بالفاعلية لا بالابتداء ، للتصريح بالفعل فى نظيرتها ، وهذا الجواب مطابق للسؤال من جهة المعنى ، اذ لو جاء على اللفظ لجىء فيه بجملة ابتدائية كالسؤال .

« والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين.وانا الى ربنا لمنقلبون ».

قوله تعالى (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) :

(ما تركبون) مفعول لجعل ، و (من الفلك والأنعام) بيـــان له مقدم عله .

و (ما) اسم موصول ، وعائدها محـــذوف ، أى ما تركبونه . و (ركب) بالنسبة للفلك يتعدى بحرف الجر ، قال تعالى : (فاذا ركبوا فى الفلك)(١) وبالنسبة الى غيرها يتعدى بنفسه ، قال تعالى : (لتركبوها) ، فغلب هنا المتعدى بنفسه على المتعدى بواسطة ، فلذلك حذف العائد . والمعنى : جعـــل لكم من الفـــلك ما تركبون فيه ، ومن الأنعام ما تركبونه .

(لتستووا على ظهوره) :

يجوز أن تكون هـذه اللام لام العلة وهو الظـاهر ، وأن تكون للصيرورة وقال ابن عطية : لام الأمر ، وفيه بعد من حيث استعمال أمر المخاطب بتاء الخطاب قال أبو حيان : « وهو من القلـة بحيث ينبغى ألا يقاس عليه » ، فالفصيح المستعمل اضرب ، وقيل : لتضرب ، بل نص النحويون على أنها لغة رديئة ، اذ لا تكـاد تحفظ الا فى قراءة شاذة : (فبذلك فالتفرحوا) بالتـاء للخطاب ، ومـا آثر المحدثون من قوله عليه الصلاة والسلام : (لتأخذوا مصافكم) مع احتمال أن الراوى روى بالمعنى ، وقول الشاعر :

لتقم أنت يا ابن خير معد فتقضى حوائج المسلمينا

وزعم الزجاج انها لغة جيدة وذلك خلاف ما زعم النحويون أ٠ﻫ(٣) والحق أن هذه اللغة ليست رديئـة كما زعم أبو حيـان ، فعليها جـاء قوله صلى الله عليه وسلم : « لتأخذوا مصافكم » وقوله صلى الله عليه وسلم « لتقوموا الى مصافكم » وقوله : « قوموا فلأصل لكم » بالاضافة الى ما ذكره أبو حيان من قول الشاعر السـابق ، وقد جاء أيضا فى القرآن الكريم « ولنحمل خطاياكم »(٤) ٠

فهذه الأحادث ينبغى أن تكون شهادة لجواز ذلك ، لكن ما نقلناه عن أبى حيان انما هو تعبير عن مذهبه برفضـه الاسـتشهاد بالحديث وبنى ذلك على أمرين :

أحدهما : أن الأحاديث يحتمل أنها لم تنقل كما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما رويت بالمعنى ٠

وثانيهما : أن أئمة النحو المتقدمين لم يحتجوا بشىء منه ٠

ورد عليه فى ذلك اما الأمر الأول فرد بأن اليقين ليس بمطلوب فى هذا الباب وانما المطلوب غلبة الظن الذى هو مناط الأحكام الشرعيـــة ، وكذا ما يتوقف عليه من نقل مفردات الألفاظ وقوانين الاعراب ، فالظن فى ذلك كله كاف • ولا يخفى انه يغلب على الظن أن ذلك المنقول المحتج به لم يبدل ، لأن الأصل عدم التبديل ، لاسيما والتشديد فى الضـــبط والتحرى فى نقل الأحاديث شائع بين النقلة والمحدثين • ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى فانما هو عنده بمعنى التجويز العقلى الذى لا ينافى وقوع نقيضه ، فلذلك تراهم يتحرون فى الضبط ويتشددون ، فاحتمال التبديل مرجوح •

ورد الثانى بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صـــحة الاستدلال به • والصواب جواز الاحتجاج به ، على أن كتبهم لم تخل من الاستشهاد بالحديث ، على أن أبا حيان نفســـه استشهد بالحـــديث الشريف فى كتابه التذييل والتكميل •

فالحق أن جـــزم اللام لفعلى المتكلم جائز فى الســـعة وقيل : انه قليل(٣٠) •

وقال الدنوشرى : (على أن الظاهر أن القليل يقع فى القرآن بخلاف النادر)(٣١) ولم يذكر أبو حيان كل ما جاء على هذه اللغة حتى يروج لنفسه دعوى الضعف قوله تعالى : (على ظهوره) أضاف الظهور الى الواحد ، لأن ذلك الواحد فى معنى جمع بمنزلة الجند والجيش والجمع وانما لم يقل (لتستووا على ظهره) يجعل الظهر واحدا لاضافته الى واحد ، لأن الواحـــد فيه معنى الجمـــع ، فردت الظهور الى المعنى ، ولم يقل ظهره فيكون كالواحد الذى معناه ولفظه واحد ، فكذلك تقول:

---

(٣٠) انظر الأشمونى ٣/٤ •

(٣١) انظر حاشية يس على التصريح ٢/١٤٦ •

قد كثرت نساء الجـند ، وقلت : رفع الجند أعينه ولم تقـل عينه ، وكذلك كل ما أضفت اليه من الأسماء الموضوعة فأجرها على الجمـع ، فاذا أضفت اليه اسما فى معنى فعل جاز جمعه وتوحيده ، مثل قولك : رفع الجند صوته ، وأصواته أجود • وجاز هذا لأن الفعل لا صورة له فى الاثنين الا كصورته فى الواحد(٣٢) •

« وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين • أم اتخذ مما خلق بنات وأصفاكم بالبنين • واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسـودا وهو كظيم أو من ينشـأ فى الحليـة وهو فى الخصام غير مبين » •

(وجعلوا له) جملة حالية :

(جزءا) مفعول (جعلوا) والجعل هنا تصيير قولى أى أثبتوا •

(أم اتخذ) أم بمعنى همزة الانكار والتقريع والتوبيخ ، وقدرها بعضهم ببل التى للانتقال ، أى انتقلوا الى ادعاء أن الله اتخذ مما يخلق بنات وأصفاهم بالبنين • وبعضكم قدرها بهما • وكل صحيح لأن فيها مذاهب ثلاثة • (وأصفاكم) أى خصكم •

(واذا بشر أحدهم) استئناف مقرر لما قبله ، وقيل : حال على معنى انهم نسبوا اليـه ما ذكر ، ومن حـالهم أن أحـدهم اذا بشر به اغتم •

(بما ضرب) (ما) موصولة معناها البنات • و (ضرب) بمعنى (جعل) والمفعول الأول الذى هو عـائد على الموصول محـذوف أى ضربه • (مثلا) هو المفعول الثانى •

« ظل وجهه مسودا » :

---

(٣٢) انظر معانى القرآن للفراء ٣/٢٨ •

ظل : فعل ماض نــاقص ، وتأتى على معنين : احــدهما اقتران مضمون الجملة بالوقت الخاص بها وهو النهار دون الليل • والثانى : كينونتها بمعنى (صار) مع قطع النظر عن الوقت الخاص بها ، فيقال : ظل كئيبا ، وكما فى هذه الآية : فالمراد انه يحدث به ذلك ويصير اليه عند البشارة وان كان ليلا(٣٣) •

وجهه : اسم ظل ، قال الفراء :

« الفعل للوجه ، فلذلك نصبت الفعل ، ولو جعلت (ظل) للرجل رفعت الوجه والمسود فقلت : ظل وجهه مسود وهو كظيم » (٣٤) •

وقال الزمخشرى : « وقرىء مسود ومسواد على أن فى (ظل) ضمير المبشر ، و (ووجهه مسود) جملة واقعة موقع الخبر »(٣٥) •

(وهو كظيم) الواو للحال •

« أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين » :

(من) يجوز أن تكون فى موضع رفع على الابتداء ، أى من ينشأ جعلــوه لله ، ويجــوز أن تكون فى موضــع نصب على اضــمار فعل (يجعلون) ونحوه(٣٦) •

وزاد الفراء فيها وجها وهو الجر ، فقال : « وان رددتها على أول الكلام على قوله : « واذا بشر أحدهم بما ضرب » خفضتها »(٣٧) •

وقرأ الجمهور : (ينشأ) مبنيا للفاعل • وقرأ بعضهم (ينشــأ) مبنيا للمفعول مشددا •

---

(٣٣) انظر ابن يعيش ١٠٥/٧ ، ١٠٦ •
(٣٤) معانى القرآن ٢٨/٣ •
(٣٥) الكشاف ٤٨٢/٢ •
(٣٦) انظر البحر المحيط ٨/٨ •
(٣٧) معانى القرآن ٢٩/٣ •

وقرأ الجحدرى فى قول (ينشأ) مبنيا للمفعول مخففا • وقـرأ الحسن فى رواية (يناشؤ) على وزن يفاعل مبنيا للمفعول ، والمناشأة بمعنى الانشاء ، كالمعالاة بمعى الاعلاء •

(وهو فى الخصام غير مبين) :

الجملة حال • و (فى الخصام) متعلق بمحذوف تفسيره غير مبين • أى وهو لا يبين لا فى الخصـام • ومن أجـاز (أنـا زيـدا غـير ضارب) باعمال المضاف اليه فى (زيد) أجاز أن يتعلق (فى الخصام) بـ (مبين) وأجرى (غير) مجرى (لا) •

قال العكبرى : « الخصام » : يتعلـق بـ (مبين) فان قلت : المضاف اليه لا يعمل فيما قبله قيـل : الا فى (غير) لأن فيهـا معنى النفى ، فكأنه قال : (وهو لا يبين فى الخصام)(٣٨) •

« وجعلـوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشـهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون • وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون • أم آتيناهم كتـابا من قبله فهم به متمسكون • بل قالوا انا وجـدنا آباءنا على أمـة وانا على آثارهم مهتدون » •

جعلوا الملائكة : أى سموهم •

أعلم أن (جعلت) له تصرف فى الكلام ودور فى الأحكام ، وهو على أربعة أوجه يجمعها أصلان •

أحدهما : أن تكون بمعنى (صـيرت) فـلا بد أن تتعدى الى مفعولين •

---

(٣٨) املاء ما من به الرحمن ٢/٢٢٧ •

والآخر : أن تكون بمعنى (عملت وخلقت) فلا تتعدى الا الى واحد • فاذا كانت بمعنى (صيرت) فأحـد وجهيها فى التعـدى الى مفعولين : أن تكون بأثرة تصل الى المجهول كقولك : جعلت الطين خزفا، والخشب بابا ، والورق كتابا • وهى فى مثل هذا نظير أعطيت ويجوز فيها الاقتصار •

والآخر من التعدى الى مفعولين : أن يكون بغير أثره ، بل على الشىء أنه صـير كذلك ، أو القول أنه كذلك نحو قولك : جعلت الرجل فاسقا ، وجعلت زيدا مؤمنا ، وجعلت بكرا أميرا وعمرا وزيرا ، فانما ذلك بالقول انه كذلك •

ونظير الأول قوله عز وجل : (وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا) وكذلك قوله عز وجل : وجعلنا السماء سقفا محفوظا • فهذا لم يكن كذلك الا بعمل •

ونظير الوجه الثانى : قوله عز وجل : أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشىء عجاب(٣٩) والآية التى نحن بصدد الحديث عنها • والمعنى : حكموا بذلك وقالوه •

ومن معانى جعل كذلك : كونها بمعنى دخل فى الفعل نحو (جعل زيد يقوم) أى شرع فى القيام •

وكونها بمعنى ألقى ، تقول (جعلت متاعك بعضـه فوق بعض) أى ألقيته(٤٠) •

(أم آتيناهم كتابا من قبله) :

---

(٣٩) الافصاح للفالقى من حاشية الشيخ عضيمة على المقتضب ٦٨/٤ •

(٤٠) انظر الاستغناء فى أحكام الاستثناء للقرافى ص ٣٢٨ •

قيل : هذا معادل لقوله أشهدوا خلقهم ، والمعنى أحضروا خلقهم أم آتيناهم كتابا من قبله أى من قبل القرآن ، فتكون أم متصلة معادلة للهمزة فى قوله أشهدوا خلقهم ، وهو بعيد من المعنى والسياق ، فالأولى الوجه الآخر الذى جرى عليه أكثر المفسرين من انهـا منقطعة بمعنى همزة الاستفهام الانكارى •

(وانا على آثارهم مهتدون) :

الجار والمجرور خبر ان ، و (مهتدون) خبر ثان ، ويجـوز أن يكون الجار والمجرور صلة لـ (مهتدون) وتكون مهتدون هى الخبر ، ولو نصبت (مهتدون) و (مقتد ون) فى الآية بعدها لجاز لأن الوقف يحين دونها ، فتقول للرجل : قدمت ونحن بالأثر متبعين ومتبعون(٤١)«وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون • قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون • فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين » •

(قال أولو) :

قرأ ابن عامر وجعفر (قال) أى قال كل نذير من أولئك المنذرين لأممهم وقرىء (قل) عـلى انه حكاية أمر ماض أوحى حينئذ الى كل نذير لا على انه خطاب لرسـول الله صلى الله عليه وسـلم كما قيل ، لقوله تعالى : قالوا انا بمـا أرسلتم به كـافرون ، فانه حكـاية عن الأمم قطعـا •

(أو لو جئتكم) :

(لو) فى هذا الموضع كأنها شرطية بمعنى (ان) كأن معنى الآية أو أن جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم يصحبكم لجاكم وتقليدكم •

---

(٤١) معانى القرآن للفراء ٣/٣٠ •

وكون (لو) بمعنى (ان) قاله كثير من النحويين فى نحو (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) (ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) (ولو أعجبتكم) (ولو أعجبكم) (ولو أعجبك حسنهن) ونحو (أعطوا السائل ولو جاء على فرس) وقوله :

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم
دون النساء ولو باتت بأطهار

وتحرير ذلك أن يعلم أن خاصية (لو) فرض ما ليس بواقع واقعا ، ومن ثم انتقض شرطها فى الماضى والحال لما ثبت من كون متعلقها غير واقع • وخاصية (ان) تعليق أمر بأمر مستقبل محتمل ، ولا دلالة لها على حكم شرطها فى الماضى والحال ، فعلى هذا قوله :

« ولو باتت بأطهار » :

يتعين فيه معنى (ان) لأنه خبر عن أمر مستقبل محتمل ، أما استقباله فلأن جوابه محذوف دل عليه شدوا ، وشدوا مستقبل لأنه جواب اذا ، وأما احتماله فظاهر ، ولا يمكن جعلها امتناعية للاستقبال والاحتمال ، ولأن المقصود تحقق ثبوت الطهر لا امتناعه •

والحاصل أن الشرط متى كان محتملا وليس المقصود فرضه الآن أو فيما مضى فهى بمعنى (ان) ومتى كان ماضيا أو حالا وأمستقبلا ولكن قصد فرضه الآن أو فيما مضى فهى الامتناعية(٤٢) •

« واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون • الا الذى فطرنى فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية فى عقبة لعلهم يرجعون • بل

(٤٢) مغنى اللبيب ٢١٠/١ •

متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين • ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون » •

« اننى براء » :

قرأ الأعمش (انى) بنون مشددة دون نون الوقاية ، والجمهور (اننى) بنونين الأولى مشددة وذلك لأن نون الوقاية يجوز أن تلحق (ان) ويجوز أن تحذف عند اتصالها بياء المتكلم • قال سيبويه :

« أعلم أن علامة اضمار المنصوب المتكلم (نى) •• ألا ترى انك تقول اذا أضمرت نفسك وأنت منصوب : ضربنى وقتلنى واننى ولعلنى •• فان قلت : ما بال العرب قد قالت : انى وكأنى ولعلى ولكنى ؟ فانه أى الخليل زعم أن هذه الحروف اجتمع فيها انها كثيرة فى كلامهم ، وانهم يستثقلون فى كلامهم التضعيف ، فلما كثر استعمالهم اياها مع تضعيف الحروف حذفوا التى تلى الياء • فان قلت : لعلى : ليس فيها نون • فانه زعم أن اللام قريب من النون ، وهى أقرب الحروف من النون » أ•هـ(٤٣) •

(براء) مصدر فى موضع اسم الفاعل بمعنى (برىء) وبها قرأ الأعمش • ولا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث • اما (برىء) فيثنى ويجمع فيقال فى الاثنين بريئان وفى الجمع بريئون •

« الا الذى فطرنى » :

فى هذه الآية من المسائل : كيف استثنى الذى فطرنى من معبودى قومه ؟ وهل الاستثناء متصل أو منقطع ؟ والجواب : قيل : كان قوم ابراهيم عليه الصلاة والسلام يعبدون الله ويعظمونه كما كانت

---

(٤٣) الكتاب ١/٣٨٦ بولاق •

العرب • ولكن تعبد الأصنام معه والكواكب • فلذلك حسن الاستثناء، ويكون متصلا على هذا •

وقيل : لم يكونوا يعترفون بالله أصلا ، واستثناه ابراهيم عليـه السلام لأنه تعالى مما يمكن أن يكون معبودا لهم فى المستقبل ، فكان الأدب الاحتياط مع الله تعالى لهذا الاحتمال •

وقيل : الاستثناء منقطع ، ومعنى الكلام : لكن الذي فطرنى فانه سيهدين(٤٤) و (فطرنى) صلة (الذى) وفيه تنبيه على أنه لا يعبد ولا يستحق العبادة الا الخالق للعباد •

(فانه سيهدين) :

يجوز أن يكون استئنافا ، وهو الظاهر • ويجوز أن يكون حالا من (الذى) أو من الضمير فى (فطرنى) ان جعلنا الفاء بمعنى الواو ، فانه يجوز (جاءنى زيد وانه لضاحك) على الحال • الا أن مجىء الفاء بمعنى الواو قليل (٤٥) •

قال سيبويه :

« واعلم أن الـــواو معناها ومعنى الفـــاء مختلفان » ، ألا ترى الأخطل قال :

لا تنـــه عن خلـــق وتأتى مثله
عـــار عليك اذا فعلـــت عظـــيم

فلو دخلت الفاء ها هنا لأفسدت المعنى ، وانمـــا أراد لا يجتمعن النهى والاتيان ، فصار تأتى على اضمار (ان) • ومما يدلك أيضـــا

(٤٤) الاستغناء فى أحكام الاستثناء ص ٤٤١ •
(٤٥) السابق ص ٢٢٤ •

على أن الفاء ليست كالواو قولك : مررت بزيد وعمرو ، ومررت بزيد فعمرو ، تريد أن تعلم بالفاء أن الآخر مر به بعد الأول » (٤٦) •

« وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون » :

فاعل جعل ضـــمير مستتر يعود عـــلى (ابراهيم) ، و (لعلهم يرجعون) علة للجعـــل ، أى جعلها باقية فيهم رجـــاء أن يرجع اليها من أشرك •

« بل متعت هؤلاء » :

بل اضراب عن محذوف أى فلم يحصل ما ترجاه بل متعت هؤلاء •

« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجـــل من القريتين عظيم • أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون • ولولا أن يكون الناس أمة واحـــدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون • ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون • وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين » •

(رحمت ربك) ترسم بالتاء لا بالهاء اتباعا لرسم المصحف الامام كما نص عليه ابن الجزرى ونصه مع شرحه لشيخ الاسلام : ورحمت ربك فى موضعى الزخرف بالتاء لا بالهاء زبره أى كتبه عثمان رضى الله عنه وزبره أيضا بالتاء ورحمت الله فى الأعراف فى قوله : ان رحمت الله قريب من المحسنين ، وفى سورة الروم فى قوله : فانظر الى آثار رحمت الله وفى سورة هود فى قوله : رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت ، ورحمت ربك فى كهيعص ، ورحمت الله فى البقرة فى قوله : أولئك يرجون

(٤٦) الكتاب ١/٤٢٥ •

رحمت الله . وما عدا هذه السبعة يرسم بالهاء . وأبو عمرو وابن كثير والكسائى يقفون بالهاء كسائر الهاءات الداخلة على الأسماء كفاطمة وقائمة وهى لغة قريش . والباقن يقفون بالتاء تغليبا لجانب الرسم ، وهى لغة طىء(٤٧) .

« ولولا أن يكون الناس أمة واحدة » :

فى الكلام حذف مضاف والتقدير : ولولا كراهة أن يكون النـــاس أمة واحدة .

« لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم » يجوز أن تكون اللام فى (لبيوتهم) مكررة بمعنى اللام الأولى ويكون (لبيوتهم) بدل اشتمال أعيد معه العامل .

ويجوز أيضـــا أن تكون اللام فى (لمن يكفـــر) لام الملك وفى (بيوتهم) لام تخصـــيص ، كما تقول : هذا الكســـاء لدابته ، أى هو لدابته جلس ولزيد ملك . وأجاز هذا المعنى الزمخشرى وابن عطيـــة وخطأه أبو حيان ، ولا أدرى لم خطأه مع ظهوره .

« سقفا » قرأها عاصم والأعمش والحسن « سقفا » بضم السين والقاف ، وان شئت جعلت واحدها سقيفة ، وان شئت جعلته سقوفا فتكون جمع الجمع ، كما قال الشاعر :

حتى اذا لبت حلاقيم الحلق   أهوى لأدنى فقرة على شفق

ومثله قراءة من قرأ (كلوا من ثمره) وهو جمع وواحده ثمار ، وكقول من قرأ (فرهن مقبوضة) واحدها رهان ورهون .

---

(٤٧) الفتوحات الالهية ٨٣/٤ .

وقرأ مجـــاهد وبعض أهل الحجاز (سـقفا) كالواحد مخفف لأن السقف يذهب مذهب الجمع ، وقرىء بفتحتين كأنه لغة فى سقف • وقرأ أبو رجاء • بضم وسكون وهى جمع سقف لغة تميم •

« وزخرفا » يجوز أن يكون منصوبا على أن التقدير ونجعل لهم مع ذلك زخرفا •

ويجوز أن يكون الأصل سقفا من فضة وزخرف يعنى بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل (من فضة) •

وقيل منصوب بنزع الخافض والمعنى لجعلنا لهم سـقفا وأبوابا وسررا من فضة ومن ذهب فلما حذف (من) قال (وزخرفا) فنصب •

« وان كل ذلك لمـا متاع الحياة الدنيا » :

قرأ الجمهور (لما) بفتح اللام وتخفيف الميم ، فعلى هذا تكون (ان) مخففـة من الثقيلة واللام هى الفـارقة بين (ان) المخففة والنـافية •

وقرأ أبو رجاء وأبو حيوة (لمـا) بكسر اللام ، وخرجوه على أن (ما) موصولة ، والعـائد محذوف تقديره : للذى هو متـاع ، كقوله تعالى (تماما على الذى أحسن) أى على الذى هو أحسن ، وعلى هذا التخريج تكـون (ان) هى المخففة من الثقيلـة ، و (كل) مبتدأ ، وخبره متعلق الجار والمجرور ، أى وان كل ذلك لكائن أو لمستقر الذى هو متاع • ومن حيث هى المخففة من الثقيلة فلا يحتاج الاتيان باللام هو الوجه فكان يكون التركيب للما متاع الحياة الدنيا لكنه قد تحذف هذه اللام اذا دل المعنى على أن (ان) هى المخففة من الثقيلة فلا يحتـاج الى ذكر اللام الفارقة ، ومن ذلك قول الشاعر :

ونحن أباة الضيم من آل مالك وان مالك كانت كرام المعادن

يريد (لكانت) ولكنت حذف لأنه لا يتـوهم فى (ان) أن تكون

نافية لأن صــدر البيت يدل على المدح وتعــين (ان) لكونها المخففة من الثقيلة •

وقرأ الحسن وطلحــة والأعمش وعيسى وعاصم وحمــزه (لما) بتشديد الميم و (ان) نافية ، و (لما) بمعنى (الا)(٤٠) •

ومن أوجه (لما) أن تكون حــرف استثناء ، فتدخل على الجملة الاسمية نحو « ان كل نفس لما عليها حافظ » فيمن شددوا الميم ، وعلى

المــاضى لفظــا لا معنى ، نحو (أنشــدك بالله لمــا فعلت) أى مــا أسألك ألا فعلك ، قال :

قالت له بالله يا ذا البردين   لما غنثت نفسا أو اثنين(٤٩)

وفيه رد لقول الجوهرى : ان (لما) بمعنى (الا) غير معروف فى اللغة(٥٠) •

واما قوله تعالى : « وان كلا لمــا ليوفينهم » فى قراءة ابن عامر وحمزة وحفص بتشديد نون (ان) وميم (لمــا) فقد خطأها المبرد ، وقال عنها انها لحن ، وقال الكسائى : لا أرى وجها لهذه القراءة •

ولست مع تلحين القراءة ، ما دامت منقولة عن الثقــات ، وقد ناقشت هذه المســألة فى كتابى مرشد المريد ورددت عــلى ما بدر من بعضهم كالمبرد •

---

(٤٨) البحر المحيط ١٥/٨ ، والكشاف ٤٨٧/٢ •

(٤٩) غنث : من باب علم وهــو أن تشرب ثم يتنفس ، وكنت به عن الجمــاع •

(٥٠) مغنى اللبيب لابن هشام ٢٢٠/١ •

وقد رد أبو حيان على المبرد والكسائى بقوله : « فأما التلحين فلا سبيل اليه البتة ، لأنها منقولة نقل التواتر فى السبعة • وأما من قال : لا أدرى ما وجهها فمعذور لخفاء ادراك ذلك عليه »(٥١) •

وقال الفراء : التقدير : (لمن ما) فلما كثرت الميمات حذف منهن واحدة ، ويعنى بكثرة الميمات أن نون (من) حين أدغمت فى ميم (لما) انقلبت ميما بالادغام فصارت ثلاث ميمات • وقال المزنى : (ان) بمعنى (ما) ثم ثقلت (٥٢) وقد رد ابن هشام على الفراء بقوله « وهذا القول ضعيف لأن حذف هذه الميم استثقالا لم يثبت »(٥٥٣) •

ورد أبو حيان على المازنى بقوله : « واما تأويل (ان) المثقلة بأنها المخففة التى هى نافية ففى غاية من الخطأ ، لأنها لو كانت نافية لم ينتصب بعدها (كلا) انما كان يرتفع ، وأيضا فانه لا يحفظ من كلامهم أن تكون (ان) المثقلة نافية »(٥٤) •

وقيل : أن الأصل (لما) بالتنوين بمعنى جمعا ، ثم حذف التنوين اجراء للوصل مجرى الوقف ، وهو ضعيف لأن استعمال (لما) فى هذا المعنى بعيد ، وحذف التنوين من المنصرف فى الوصل أبعد وأضعف من هذا قول آخر انه فعلى من اللمم ، وهو بمعناه ، ولكنه منع الصرف لألف التأنيث ولم يثبت استعمال هذه اللفظة ، واذا كانت فعلى فهل كتبت بالياء ، وهلا أمالها من قاعدته الامالة(٥٥) •

---

(٥١) التذييل والتكميل ٩٥٨/٦ •
(٥٢) السابق ٩٥٨/٦ •
(٥٣) المغنى ٢٢٠/١ •
(٥٤) التذييل والتكميل ٩٥٨/٦ •
(٥٥) المغنى ٢٢٠/١ •

وقد خرجها ابن الحاجب على أن (لما) هي الجازمة حذف فعلها ، وخرجها أبو حيان أيضا على انها هي الجازمة ، قال :« وقد كنت من قديم فكرت في تخريج هذه الآية فظهر لي تخريجها على القواعد النحوية من غير شذوذ ، وهو أن (لما) في قراءة من نصب (كلا) وخفف (ان) أو ثقلها هي الجازمة ، وحذف الفعل المعمول لها لدلالة معنى الكلام عليه ، فيكون نظير قولهم : (قاربت المدنية ولما) يريد ولما أدخلها ، فيكون معنى الآية قوله تعالى : (ليوفينهم ربك أعمالهم) ولم يهتد أحد من النحويين الذين وقفنا على كلامهم في هذه الآية اليه على وضوحه واتجاهه في علم العربية ، والعلوم كنوز تحت مفاتيح الفهوم »(٥٦) .

« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين . وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون . حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين . ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون » .

« ومن يعش » هذه الآية متصلة بقوله أول السورة : أفنضرب عنكم الذكر صفحا أي نضربه عنكم بل نواصله فمن يعش عن ذلك الذكر بالاعراض عنه نقيض له شيطانا .

قرىء (يعش) بفتح الشين أي يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن . ويحتمل أن يكون (الذكر) مصدرا أضيف الى المفعول أي يعش عن أن يذكر الرحمن . وقال ابن عطية انه مصدر مضاف الى الفاعل كأنه يريد بالذكر التذكير(٥٧) .

---

(٥٦) التذييل والتكميل ٦/٩٥٩ .

(٥٧) انظر البحر المحيط ٨/١٥ ، ١٦ ، ومعاني القرآن للفراء ٢/٣٢ .

وقرأ زيد بن على (يعشو) بالواو :

وقد خرج الزمخشرى هذه القراءة على أن (من) موصولة غير مضمنة معنى الشرط، وأن من حق هذا القارىء أن يرفع (نقيض)(٥٨) •
وخرجها أبو حيان على وجهين :

أحدهما أن تكون (من) شرطية و (يعشو) مجزوم بحذف الحركة تقديرا • وقد ذكر الأخفش أن ذلك لغة لبعض العرب يحذفون حركة حروف العلة للجازم • والمشهور عند النحاة أن ذلك يكون فى الشعر لا فى الكلام •

والوجه الثانى : أن تكون (من) موصولة ، والجزم تشبيها للموصول باسم الشرط ، واذا كان ذلك مسموعا فى (الذى) وهو لم يكن اسم شرط قط ، فالأولى أن يكون فيما استعمل موصولا وشرطا، قال الشاعر :

ولا تحفرن بئرا تريد أخابها
فانك فيها أنت من دونه تقع
كذاك الذى يبغى على الناس ظالما
تصبه على رغم عواقب ما صنع

أنشدهما ابن الأعرابى ، وهو مذهب الكوفيين ، وله وجه من القياس ، وهو أنه كما شبه الموصول باسم الشرط فدخلت الفاء فى خبره فكذلك يشبه به فينجزم الخبر ، الا أن دخول الفاء منقاس اذا كان الخبر مسببا عن الصلة ، وهذا لا ينفيه البصريون • قال سيبويه : « وسألته (أى الخليل) عن قوله الذى يأتينى فله درهمان ، لم جاز دخول الفاء ها هنا • والذى يأتينى بمنزلة عبدالله وأنت لا يجوز أن تقول : عبدالله فله درهمان ؟ فقال : انما يحسن فى الذى لأنه جعل الآخر جوابا للأول وجعل الأول به يجب له الدرهمان ، فدخلت الفاء ها هنا كما دخلت فى

(٥٨) الكشاف ٢/٤٨٨ •

الجزاء اذا قال : ان يأتنى فله درهمان »(٥٩) ومن ذلك قوله عز وجل : « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »(٦٠)

« نقيض له شيطانا » الفاعل مستتر عائد عــلى الرحمن • وقرىء « يقيض له الشيطان » بالبناء للمفعول أى ييسر له الشيطان •

« وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون » جمع ضمير (من) وهو ضمير النصب فى قوله : (وانهم ليصدونهم) على المعنى ، لأن (من) مبهم فى جنس العــاشى ، أعــاد أولا على اللفظ فى افراد الضمير فى قوله (فهو قرين) • ويرى أبو حيان أن الأولى أن يكون ضمير النصب فى (وانهم) وفى (ليصدونهم) وفى (ويحسبون) للعشاة ، كأن الكلام : وان العشاة ليصدونهم الشياطين ويحسبونهم أى الكفار ، وذلك لتناسق الضمائر لمدلول واحد • وقــال ابن عطية : « والضمير فى قوله (وانهم) عائد على الشياطين ، وفى (ليصدونهم) عائد على الكفار » والمعنى وان الشياطين ليصدون العشاة ، وهو ما يظهر فى الآية ، بخلاف ما ذكره أبو حيان من أن المعنى : وان العشاة ليصدونهم الشياطين ، بدعوى تناسق الضمائر لمدلول واحد •

« حتى اذا جاءنا » قرأ الأعمش والأعرج وعيسى وابن محيصن والأخوان وحفص (جاءنا) وقرأ أبو جعفر وشيبة وقتادة والزهرى والجحدرى وأبو بكر والحرميان (جاءانا) على التثنية•فالأفراد بكون الضمير عائدا عــلى لفظ (من) أعاد أولا عــلى اللفظ ، ثم جمع على المعنى ، ثم أفرد على اللفظ ، ونظير ذلك : « ومن يؤمن بالله ويعمــل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن

---

(٥٩) البحر المحيط ١٦/٨ •
(٦٠) الآية ٢٧٤ من سورة البقرة •

الله له رزقا » أفرد أولا ، ثم جمع في قوله « خالدين » ثم أفرد في قوله « له رزقا » والتثنية تكون بعود الضمير على لفظ (من) والشيطان القرين ، ومثله قراءة من قرأ « كلا لينبذان » يقول : ينبذ هو وما له(٦١) •

وفي هذه الآية دلالة على أن النكرة الواقعة في سياق الشرط تفيد العموم • وهي مسألة اضطرب فيها الأصوليون ، وامام الحرمين من القائلين بافادتها العموم حتى استدرك على الأئمة اطلاقهم القول بأن النكرة في سياق الاثبات تخص ، وقال : ان الشرط يعم والنكرة في سياقه تعم • وفي هذه الآية للامام ومن قال بقوله كفاية ، وذلك أن الشيطان ذكر ففيها منكرا في سياق شرط ، ونحن نعلم أنه انما أراد عموم الشياطين لا واحدا لوجهين :

أحدهما : انه قد ثبت أن لكل أحد شيطانا ، فكيف بالعاشي عن ذكر الله •

والآخر : يؤخذ من الآية وهو انه أعاد عليه الضمير مجموعا في قوله (وانهم) وفي قوله « ليصدونهم » بضمير الرفع المجموع ، ولولا افادته عموم الشمول لما جاز عود ضمير الجمع عليه بلا اشكال • وفي هذه الآية أيضا رد على من زعم أن العود على معنى (من) يمنع من العود على لفظها بعد ذلك(٦٢) •

« قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين » اختلف في (يا) في مثل هذا الاسلوب فبعضهم يرى انها داخلة على منادى محذوف ، وجزم ابن مالك بجواز حذف المنادى وابقاء حرف النداء قبل الأمر والدعاء ، وخرج عليه قوله تعالى « ألا يسجدوا » بالتخفيف • وقد منع أبو حيان

---

(٦١) انظر معاني القرآن للفراء ٣٣/٢ •

(٦٢) انظر الانتصاف ٤٨٨/٣ •

حذف المنادى لأنه يؤدى الى الجمع بين حذف فعل النداء وحذف المنادى وهو اجحاف ورأى أن (يا) فى مثل هذا للتنبيه ، قال :

« وأما قراءة ابن عباس ومن وافقه فخرجت على أن تكون (ألا) حرف استفتاح ، و (يا) حرف نداء والمنادى محذوف و (اسجدوا) فعل أمر ، وسقطت ألف (يا) التى للنداء وألف الوصل فى (اسجدوا) اذ رسم المصحف (يسجدوا) بغير ألفين ، لما سقطا لفظا سقطا خطا .. والذى أذهب اليه أن مثل هذا التركيب الوارد عن العرب ليست « يا » فيه للنداء ، وحذف المنادى ، لأن المنادى عندى لا يجوز حذفه لأنه قد حذف الفعل العامل فى النداء وانحذف فاعله لحذفه ولو حذفنا المنادى لكان فى ذلك حذف جملة النداء وحذف متعلقه وهو المنادى ، فكان ذلك اخلالا كبيرا »(٦٣) . وعن حذف همزة (اسجدوا) فى هذه القراءة يقول سيبويه : « وقد قال الذين يخففون حدثنا بذلك عيسى : وانما حذفت الهمزة ها هنا لأنك لم ترد أن تتم ، وأردت اخفاء الصوت ، فلم يكن ليلتقى ساكن وحرف هذه قصته كما لم يكن ليلتقى ساكنان »(٦٤) .

« ليت بينى وبينك » تمنى لو كان ذلك فى الدنيا حتى لا يصده عن سبيل الله . أو تمنى ذلك فى الآخرة ، وهو الظاهر ، لأنه جواب (اذا) التى للاستقبال .

« بعد المشرقين » قيل : المراد المشرق والمغرب ، غلب المشرق فثناها ، كما قالوا : العمران فى أبى بكر وعمر ، والقمران فى الشمس والقمر ، والموصولان فى الجزيرة والموصل ، وهو اختيار الفراء والزجاج ، قال الفراء : « ويقال : انه أراد المشرق والمغرب » ، فقال

---

(٦٣) البحر المحيط ٦٨/٧ ، ٦٩ ، وانظر همع الهوامع ١٧٤/١
(٦٤) الكتاب ١٦٥/١ .

المشرقين ، وهو أشبه الوجهين بالصواب ، لأن العرب قد تجمع الاسمين على تسمية أشهرهما ، قال الشاعر :

أخذنا بآفاق السماء عليكم
لنا قمراها والنجوم الطوالع

يريد الشمس والقمر ، وقال الآخر :

قسموا البلاد فما بها لقيلهم
تضغيث مفتصل بياع فصيله
فترى العراق مسير يوم واحد
فالبصرتان فواسط تكميله

يريد البصرة والكوفة ، قال : وأنشدنى رجل من طىء :

فبصرة الأزد منا والعراق لنا
والموصلان ومنا مصرفا لحرم(٦٥)

وتثنية ما لا يصلح لعطف مثله عليه على سبيل التغليب من باب المسموع الذى يحفظ ولا يقاس عليه ، ثم تارة يغلب الأشرف كقوله تعالى : (ورفع أبويه على العرش) وتارة المذكر كالقمرين للشمس والقمر ، وتارة الأخف كالعمرين أبى بكر وعمر ، وتارة الأعظم نحو (مرج البحرين) (وما يستوى البحران)(٦٦) •

« فبئس القرين » المخصوص بالذم محذوف ، والتقدير : بئس القرين أنت ، وفيه مبالغة فى ذم قرينه •

---

(٦٥) معانى للفراء ٢/٣٣ ، ٣٤ ، وانظر البحر المحيط ٨/١٧ ، والكشاف ٣/٤٨٨ ، ٤٨٩ الهمع ١/٤١ •

« ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون » :

قرأ الجمهور (انكم) بفتح النون ، وعليه يكون فاعل (ينفعكم) أن ومعمولاها ، أى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب • ويجوز أن يكون الفاعل ضميرا يعود على ما يفهم من الكلام قبله ، أى تمنى مباعدة القرين والتبرؤ منه ، ويكون (انكم) تعليلا ، أى ولن ينفعكم اليوم ذلك لأنكم وقرناءكم مشتركون فى العذاب ، ويقويه قراءة من قرأ (انكم) بالكسر •

وقرىء (انكم) بالكسر على الاستئناف فيكون الفاعل مضمرا ، ويقويه حمل (انكم) بالفتح على التعليل ، فيجوز أن يكون الفاعل التمنى ، ويجوز أن يكون ظلمكم أو جحدكم وقد دل عليه ظلمتم ، ويكون الفاعل المحذوف من اللفظ هو العامل فى (اذ) لا ضمير الفاعل •

واليوم واذ : ظرفان ، فاليوم : ظرف حال ، واذ ظرف ماض ، أما ظرف الحال فقد يعمل فيه المستقبل لقربه منه ، أو لتجوز فى المستقبل كقوله تعالى « : فمن يستمع الآن » وقول الشاعر :

سأشقى الآن اذ بلغت مناها •

وأما (اذ) فماض لا يعمل فيه المستقبل ، ويرى الزمخشرى : انها بدل من اليوم قال : « فان قلت : ما معنى قوله تعالى : (اذ ظلمتم ؟ قلت : معناه : اذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لأحد شبهة فى انكم كنتم ظالمين ، وذلك يوم القيامة ، واذ بدل من اليوم ، ونظيره :

اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة

أى تبين أنى ولد كريمة(٦٧) ولا يجوز البدل عـلى بقاء (اذ) على موضوعها من كونها ظرفا لما مضى من الزمان • فهل يجوز أن تقع (اذ) للاستقبال ؟

قال الجمهور : لا ، وقال جماعة منهم ابن مالك : نعم ، واستدلوا بقوله تعالى : « يومئذ تحدث أخبارها » والجمهور جعلوا الآية ونحوها من باب « ونفخ فى الصور » أى من تنزيل المستقبل منزلة ما وقع قال ابن هشام : « ويحتج لغيرهم » بقوله تعالى : « فسوف يعلمــون • اذ الأغلال فى أعناقهم » فان (يعلمون) مستقبل لفظا ومعنى ، لدخول حــرف التنفيس عليه ، وقد عمــل فى (اذ) فيلزم أن تكــون بمنزلة (اذا)(٦٨) والأولى فى ذلك قــول ابن جنى فى مســاءلته أبا على : « راجعته فيها مرارا ، فآخر ما حصل منه أن الدنيا والآخرى متصلتان وهما سواء فى حكم الله وعلمه ، فتكون (اذ) بدلا من اليــوم حتى كأنها مستقبلة أو كأن اليوم ماض » (٦٩) •

ويرى ابن هشام أن (اذ) فى قوله تعالى : « ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم » للتعليل ، وجعله وجها من أربعة أوجــه تأتى عليها اذ ، فتكون اســما للزمن المــاضى ، وتكون اســما للزمن المستقبل وتكون للمفاجأة ، وقد وضح مجيئها للتعليل بقوله : « وهل هذه حرف بمنزلة لام العلة ، أو ظرف والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ ، فانه اذا قيل : ضربته اذ أســاء وأريد باذ الوقت اقتضى ظــاهر الحال أن الاساءة سبب الضرب ، قولان ••• ويبقى اشكال فى الآية وهو أن (اذ) لا تبدل من اليوم لاختلاف الزمانين ولا تكون ظرفا لينفع لأنه لا يعمل فى ظرفين ، ولا لمشتركون لأن معمول خبر الأحرف الخمسة لا يتقدم

---

(٦٧) الكشاف ٣/٤٨٩ والاملاء ٢/٢٢٨ •
(٦٨) المغنى ١/٧٥ وانظر الهمع ١/٢٠٤ •
(٦٩) املاء ما من به الرحمن ٢/٢٢٨ •

عليها ، ولأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول ، لأن اشتراكهم فى الآخرة لا فى زمن ظلمهم ، ومما حملوه على التعليل :

(واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) ، (واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف)(٧٠) •

« أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين • فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون • أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون • فاستمسك بالذى أوحى اليك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون • واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » •

(ومن كان فى ضلال مبين) معطوف على العمى والعطف للتغاير العنوانى والا فالما صدق واحد ، (فاما نذهبن بك) لحقت نون التوكيد الفعل المضارع لوقوعه فى الشرط بعد (ما) وهو موضع يكثر فيه لحاقها له وذلك مثل قوله تعالى : (واما ينزغنك) (فاما ترين) (واما ينسينك) •

« واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » •

يتعدى سأل الى مفعولين وقع موقع المفعول الثانى منهما هنا استفهام وهو (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) ومثله : سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة)قال أبو على : القول فى سألت انه فعل يتعدى الى مفعولين مثل أعطيت ، قال :

سألتانى الطلاق أن راتانى
قل ما لى قد جئتما بنكر

(٧٠) المغنى ١/٧٥ ، ٧٦ .

وقال :

سـألناها الشـفاء فما شـفتنا
ومنتنـا المواعـد والخـلابا

ويجوز أن يقتصر فيه على مفعول واحد ، فاذا اقتصر به فى التعدى على مفعول واحد كان ضربين :

أحدهما : أن يتعدى بغير حرف ، والآخر : أن يتعدى بحرف ، فاما تعديه بغير حرف فقوله : (واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا) وقال (فأسالوا أهل الذكر) • وأما تعديه بحرف : فالحرف الذى يتعـدى به حرفان : احدهما الباء كقوله : (سأل سائل بعـذاب واقع) وقال المفضـل :

وسائله بثعلبة بن سير وقد أودت بثعلبة العلوق

والآخر : عن ، كقولك : سل عن زيد • فاذا تعـدى الى مفعولين كان على ثلاثة أضرب :

احدها : أن يكون بمنزلة (اعطيت) وذلك كقوله :

سألت زيدا بعد بكر خفا

فمعنى هذا استعطيته ، والآخر : أن يكون بمنزلة (اخترت الرجال زيدا) وذلك قوله (ولا يسأل حميم حميما) ببناء يسأل للمفعـول ، فالمعنى هنا ولا يسـأل حميم عن حميمه • والثـالث : أن يتعدى الى مفعولين فيقع موقع المفعول الثانى منهما استفهام وذلك كقوله (سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة) وقوله : (واسأل من أرسـلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن)(٧١) •

---

(٧١) الحجة للفارسى ١٦٣/٢ ، ١٦٤ •

« ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسـول رب العالمين • فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون • وما نريهم من آية الا هى أكبر من اختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا آية الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننـا لمهتدون • فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون » •

« فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون » :

الفاء فى (فلما) عاطفة على محذوف تقديره (فطالبوه بما يـدل على صحة دعواه الرسالة من الله فلما جاءهم بآياتنا وهى انقلاب العصا ثعبانا وعودها عصا واخراج اليد البيضاء ونيرة وعودها الى لونهـا اذا هم منها يضحكون •

(لما) : من أوجه لما أن تختص بالماضى فتقتضى جملتين وجدتثانيتهما عند وجود أولاهما نحو (لما جاءنى أكرمته) ويقال فيها : حرف وجـود لوجود ، وبعضهم يقول : حرف وجوب لوجوب •

وزعم ابن السراج وتبعه الفارسى وتبعهما ابن جنى وتبعهم جماعة انها ظرف بمعنى (حين) وقال ابن مالك بمعنى (اذ) وهو حسن لأنها مختصة بالمـاضى •

وبالاضافة الى الجملـة ، ورد ابن خروف عـلى مدعى الاسمية بجواز أن يقال: لما كرمتنى أمس أكرمتك اليوم ، لأنها اذا قدرت ظرفا كان عاملها الجواب ، والواقع فى اليوم لا يكون فى الأمس ، والجواب أن هذا مثل : (ان كنت قلته فقد علمته) والشرط لا يكون الا مستقبلا، ولكن المعنى ان ثبت أنى كنت قلته وكذا هنـا المعنى : لما ثبت اليـوم اكرامك لى أمس أكرمتك •

ويكون جوابها فعلا ماضـيا اتفاقا ، وجملة اسمية مقرونـة باذا الفجائية أو بالفاء عند ابن مالك وفعلا مضارعا عند ابن عصفور •

دليل الاول : (فلما نجاكم الى البر أعرضم) والثانى : فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ، وهذه الآية التى معنا الآن وهى (فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) والثالث : فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصـد ، والرابع فلمـا ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا) وهو مؤول بجادلنا وقيل فى آية الفاء : ان الجواب محذوف، أى انقسموا قسمين فمنهم مقتصـد ، وفى آية المضارع ان الجـواب جاءته البشرى بزيادة الواو أو محذوف أى أقبل يجادلنا •

ومن مشكل لما هذه قول الشاعر :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادى عن شمس وهاشم

فيقال : أين فعلاها ، والجواب أن سقاؤنـا فاعل بفعل محذوف يفسره (وها) بمعنى سقط ، والجواب محـذوف تقديره : (قلت) بدليل قوله أقول • وقوله شم أمر من قولك : شمت البرق اذا نظـرت اليه ، والمعنى : لما سقط سقاؤنا قلت لعبد الله شمه(٧٢) •

ويرى الزمخشرى أن فعل المفاجأة مقدر مع (اذا) قال :

« فان قلت : كيف جاز أن يجاب (لما) باذا المفاجأة ؟ قلت : لأن فعل المفاجأة معها مقدر ، وهو عـامل النصب فى محلها كأنه قبـل : فلما جاءهم بآياتنا فاجأوا وقت ضحكهم »(٧٣) •

وللنحاة فى (اذا) التى للمفاجأة ثلاثة مذاهب :

---

(٧٢) المغنى ٢١٩/١ ، ٢٢٠ •
(٧٣) الكشاف ٤٩٠/٣ ، ٤٩١ •

الأول : انها حـرف فلا تحتاج الى عـامل وهو مذهب الأخفش ومن تابعـه .

والثانى : انها ظرف مكان وهو مذهب المبرد ومن تابعه .

والثالث : انها ظرف زمان وهو مذهب الزجاج ومن تابعه .

وعلى المذهبين الأخيرين فان صرح بعد الاسم بخبر له كان ذلك الخبر عاملا فيها نحو خرجت فاذا زيد قائم ، فقائم ناصب لاذا ، كأن التقدير : خرجت ففى المكان الذى خرجت فيه زيد قائم وان لم يذكر بعد الاسم خبر أو ذكر اسم منصوب على الحال كانت اذا خبرا للمبتدأ، فان كان المبتدأ جثه وقلنا اذا ظرف مكان كان الأمر واضحا وان قلنا : ظرف زمان كان الكلام على حذف ، أى ففى الزمان حضور زيد » (٧٤) أما ما ذهب اليه الزمخشرى فلم يقل به أحد قال أبو حيان : « ولا نعلم نحويا ذهب الى ما ذهب اليه هذا الرجل من أن (اذا) الفجـائية تكون منصوبة بفعل مقدر تقديره : فاجأ »(٧٥) .

وقال أيضا : « وما ادعاه الزمخشرى من اضمار فعل المفـاجأة لم ينطق به ولا فى موضع واحـد ، ثم المفاجأة التى ادعـاها لا يدل المعنى على انها تكون من الكـلام السابق ، بل المعنى يـدل على أن المفاجأة تكون من الكلام الذى فيه (اذا) تقول خرجت فاذا الأسد ، والمعنى ففاجأنى الأسد ، وليس المعنى ففاجأت الأسد » (٧٦) .

هذا ، وتأتى (لما) على وجهين آخـرين أحدهما : أن تختص بالمضارع فتجزمه وتنفيه وتقلبه ماضيا نحو قول الممزق :

---

(٧٤) البحر المحيط ٨/٢٠ .
(٧٥) السابق ٨/٢٠ .
(٧٦) السابق ٨/٢٠ ، ٢١ .

فان كنت مـــأكولا فكن خـــير آكـــل
والا فأدركنى ولمـــا أمـــزق(٧٧)

والثانى : أن تكون حرف استثناء ، فتدخل على الجملة الاســـمية

نحو قوله تعالى : (ان كل نفس لما عليها حافظ)(٧٨) ٠
وقالوا يا أيه الساحر :

يقرأ أيطـــرح الألف والوقوف على الهاء ساكنة وباثبـــات الألف والوقوف عليها(٧٩) ٠

فالحجة لمن حذف وأسكن الهاء : انه اتبع خط السواد ، واحتج بأن النداء مبنى على الحذف ، وانما فتحت الهاء لمجىء ألف بعدها فلما ذهبت الألف عـــادت الهاء الى الســـكون ، وانما يوقف على مثل هذا اضطرارا لا اختيارا ٠

والحجة لمن أثبت الألف انها عنده (هذا) التى للاشارة ،طـــرح منها (ذا) فبقيت الهاء التى كانت للتنبيه ، فاثبات الألف فيها واجب والدليل على ذلك قول ذى الرمة :

ألا أيهذا المنزل الدارس اســـلم

كأنك لم يعهد بك الحى عاهد (٨٠)

وقرأ ابن عامر أيه المؤمنون ويا أيه الســـاحر أيه الثقلان بضـــم

---

(٧٨) المغنى ٢١٨/١ ـ ٢٢٠ ٠

(٧٩) الحجة ٣٢٢ ٠

(٨٠) المغنى : كأن هذا المنزل لدروسه وانطماس معالمه لم يقم فيه أحد ولا عهد به فيما مضى ٠
انظر الحجة ص ٢٦١ ٠

الهاء ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الألف ، فلما سقطت الألف بالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها وضم هاء التنبيه بعد أى لغة لبنى مالك رهط شقيق ابن سلمة (٨١) .

« ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين . فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين . فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين » .

(ونادى فرعون فى قومه) فرعون : فاعل ، ونادى أى جعلهم محلا لندائه وموقعا له ، والمعنى انه أمر بالنداء فى مجامعهم فأسند النداء اليه ، كقولك : قطع الأمير اللص ، اذا أمر بقطعه ، وذلك لأن الفاعل فى عرف النحويين هو كل اسم ذكرته بعد فعل وأسندت ونسبت ذلك الفعل الى ذلك الاسم ، ولذلك كان فى الايجاب والنفى سواء(٨٢) ويجوز أن يكون عنده عظماء القبط فيرجع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه ، فكأنه نودى به بينهم .

(يا قوم) بحذف الياء والاكتفاء عنها بالكسرة على أجود اللغات التى جاءت فى اضافة المنادى الى ياء المتكلم ، ثم يثبتوا الياء ها هنا كما لم يثبتوا التنوين فى المفرد نحو (يا زيد) لأنها بمنزلته اذ كانت بدلا منه ، وذلك أن الاسم مضاف الى الياء ، والياء لا معنى لها ولا تقوم بنفسها الا أن تكون فى الاسم المضاف اليها ، كما أن التنوين لا يقوم

---

(٨١) البحر المحيط ٧/٤٥٠ وانظر الكشاف ٣/٦٣ .
(٨٢) شرح المفصل ١/٧٤ .

بنفسه حتى يكون فى اسم ، فلما كانت الياء كالتنوين وبدلا منه حذفوها فى الموضع الذى يحذف فيه التنوين تخفيفا لكثرة الاستعمال والنداء ، ولم يدخل حذفها بالمقصود اذ كان فى اللفظ ما يدل عليها وهو الكسرة قبلهـ ، ألا ترى أنه لو لم يكن قبلها كسرة لم تحذف نحو مصـــطفى ومعلى ، اذا أضفتهما قلت : مصطفاى ومعلاى ، فلا يجوز اسقاط الياء منهما ، لأنه لا دليل عليها بعد حذفها • واذا كانوا قد حذفوا اليـــاء اجتزاء عنها بالكسرة قبلها فى غير النداء كان جوازه فى النداء الذى هو باب حذف وتغيير أولى وأجدر بالجواز ، ألا ترى أنك تحذف منهالتنوين نحو (يا زيد) وتسوغ فيه الترخيم نحو (يا حار)(٨٣) •

واللغة الثانية اثبات الياء ساكنة وكان أبو عمرو يقرأ (يا عبادى فاتقون) وقال عبد الله بن عبد الأعلى القرشى :

وكنت اذ كنت الهى وحدكـــا
لم يك شىء يـــا الهى قبلكـــا

واللغة الثالثة : فتح الياء ، والرابعة : أن تبدل من الياء ألفـــا • يقال : يا ربا تجاوز عنى ، وفى الوقف : يا رباه (وهذه الأنهار) الواو واو حال ، و (هذه) مبتـــدأ ، و (الأنهار) صـــفة أو بدل أو عطف بيان ، و (تجرى) خبر المبتدأ • والمعنى حينئذ : أليس لى ملك مصر حالة كون هذه الأنهار تجرى من تحتى ويجوز أن تكون الواو عاطفة على ملك مصر • وجملة (تجرى) حال من اسم الاشارة •

« أم أنا خير من هذا الذى هو مهين » قال الزمخشرى : « أم هذه متصلة ، لأن المعنى : أفلا تبصرون أم تبصرون » ، الا انه وضع قوله (أنا خير) موضع (تبصرون) لأنهم اذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء ، وهذا من انـــزال السبب مـــنزلة المسبب ، ويجـــوز أن تكون

---

(٨٣) السابق ٢/١١ •

منقطعة »(٨٤) ويرى أبو حيان انها أم المنقطعة ، قال « والظاهر انها أم المنقطعة المقدرة ببل والهمزة أى بل أأنا خير ، وهو اذا استفهم أهو خير ممن هو ضعيف لا يكاد يفصح عن مقصوده اذا تكلم ، وهو الملك المتحكم فيهم قالوا له بلا شك أنت خير•وقال السدى وأبو عبيده (أم) بمعنى (بل) فيكون انتقل من ذلك الكلام الى اخباره بأنه خير ممن ذكر ، كقول الشاعر :

بدت مثل قرن الشمس أو رنق لاضحى
وصورتها أم أنت فى العين أملح (٨٥)

ورأيهما هذا مردود ، وذلك لأن (أم) ليست بمعنى (بل) مجردة ، بل هى تكون بمعنى (بل والهمزة) كما ذكر أبو حيان ، فقد شبه النحويون أم المنقطعة ببل ، ولم يريدوا بذلك أن ما بعد أم محقق كما يكون ما بعد بل محققا ، وانما أرادوا أن (أم) استفهام مستأنف بعد كلام يتقدمها ، كما أن (بل) تحقيق مستأنف بعد كلام تقدمها ، والدليل على انها ليست بمنزلة (بل) مجردة قوله تعالى « أم اتخذ مما يخلق بنات ••• الآية » ولا يجوز أن تكون بمعنى بل اتخذ — تعالى الله عن ذلك — وتقديره فى اللفظ : آتخذ بالألف للاستفهام ، والمعنى الانكار والرد لما ادعوه لأن ألف الاستفهام قد دخل للتقرير والرد والانكار والتوبيخ والتوعد(٨٦) •

ويرى سيبويه انها هى المعادلة ، قال : « كأن فرعون قال : أفلا تبصرون أم أنتم بصراء فقوله : أم أنا خير من هذا بمنزلة أم أنتم

---

(٨٤) الكشاف ٤٩٢/٣ •
(٨٥) البحر المحيط ٢٢/٨ •
(٨٦) السيرافى هامش سيبويه ٤٨٤/١ •

بصراء ، لأنهم لو قالوا : أنت خير منه كانوا بصراء عنده » (٨٧) وهو ما بدأ به الزمخشرى كلامه •

وقد رد أبو حيان هذا الرأى بقوله : « وهذا القول متكلف جدا ، اذ المعادل انما يكون مقابلا للسابق ، وان كان السابق جملة فعليـــة كان المعادل جملة فعلية ، أو جملة اسمية يتقدر منها فعلية ، كقوله : (أدعوتموهم أم أنتم صامتون) لأن معناه أم صمتم ، وهنا لا يتقدر منهـــا جملة فعليـــة ، لأن قوله : أم أنا خـــير ليس مقـــابلا لقوله : أفلا تبصرون • وان كان السابق اسما كان المعادل اسما أو جملة فعلية يتقدر منها اسم نحو قوله :

أمخرج اليدين أم أتمت

فأتمت معادل للاسم ، فالتقدير أم متما »(٨٨) •

وقيل : حذف المعادل بعد (أم) لدلالة المعنى عليه والوقف على أم ، والتقدير أم تبصرون ثم يبتدأ أناخير منه • وهذا بـــاطل اذ لم يسمع حذف معطوف بدون عاطفه ، فان قلت : فانهم يقولون : أتفعل هذا أم لا ، والأصل أم لا تفعل ، قلت : انما وقع الحذف بعد (لا) ولم يقع بعد العاطف ، وأحرف الجواب تحذف الجمـــل بعدها كثيرا ، وتقوم هى فى اللفظ مقام تلك الجمل ، فكأن الجملة هنا مذكورة لوجود ما يغنى عنها(٨٩) •

وقد جاء حذف أم والمعادل ، وهو قليل ، قال الشاعر :

دعانى اليها القلب انى لأمرها   سميع فما أدرى أرشد طلابها

(٨٧) الكتاب ٤٨٤/١ والمغنى ٤٢/١ •
(٨٨) البحر المحيط ٢٢/٨ ، ٢٣ •
(٨٩) المغنى ٤٢/١ ، ٤٣ •

يريد أم في • ويرى أبو البقاء أن (أم) في الآية منقطعة في اللفظ لوقوع الجملة بعدها وهي في المعنى متصلة معادلة اذ المعنى أنا خير منه أم لا ، أو أينا خير(٩٠) •

وذكر أبو زيد أن (أم) تأتي زائدة ، وقال : انها في هذه الآية كذلك ، وأن التقدير (أفلا تبصرون أنا خير) • وقد جاءت (أم) زائدة في قول ساعده بن جؤية :

يا ليت شعري ولا منجا من الهرم
أم هل على العيش بعد الشيب من ندم(٩١)

« أما أنا خير » :

قال الفراء : « وقد أخبرني بعض المشيخة أظنه الكسائي : انه بلغه أن بعض القراء قرأ (أما أنا خير) وقال لي هذا الشيخ : لو حفظت الأثر فيه لقرأت به ، وهو جيد في المعنى »(٩٢) •

وقال الطبري في تفسيره : « ولو كانت هذه القراءة مستفيضة في قراءة الأمصار لكانت صحيحة ، وكان معناها حسنا ، غير انها خلاف ما عليه قراء الأمصار ، فلا أستجيز القراءة بها »(٩٣) •

(فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) :

قرأ الجمهور : أساورة بالضم نائب فاعل ، وقرأ الضحاك : فلولا ألقى عليه أساورة ببناء ألقى للفاعل وأساورة بالنصب • وقرأ أبي عبد الله أساوير جمع اسوار وهو السوار •

---

(٩٠) املاء ما من به الرحمن ٢/٢٢٨ •
(٩١) معاني القرآن ٣/٣٥ •
(٩٢) المغني ١/٤٧ •
(٩٣) تفسير الطبري ٢٥/٤٤ •

وقراءة (أســاورة) انما هى بتعويض التاء عن ياء (أســاوير) المقابلة لألف (اسوار) مثل زنادقة فان تــاءها عوض عن ياء زناديق المقابلة لياء زنديق •

وقرأ الحسن وقتــادة وأبو رجاء والأعرج ومجــاهد وأبو حيوة وحفص : أسورة جمع ســوار نحو خمــار وأخمرة • وقرأ الأعمش أساور(٩٤) •

« فلما آسفونا انتقمنا منهم » آسف : منقول بالهمزة من أسف اذا غضب ، فلما دخلت همزة النقل اجتمع همزتان فقلبت الثانية ألفا •

« فجعلناهم سلفاً ومثلا للآخرين » سلفا بفتحتين مصــدر سلف يسلف سلفا ، وسلف الرجــل : آباؤه المتقدمون ، والجمع أســلاف وسلاف .• وقيل : هو جمع ســالف كحارس وحــرس ، وحقيقته : انه اسم جمع ، لأن فعــلا بفتحتين ليس من أبنية الجمــوع ، وقال طفيل يرثى قــومه :

مضوا سلفا قصد السبيل عليهم   صروف المنايا والرجال تقلب

وقرىء (سلفا) بضم السين واللام وهو جمع مثل أسد واسد ، أو جمع سالف مثل صابر وصبر ، أو جمع سليف مثل رغيف ورغف •

وقرىء (سلفا) بضم السين وفتح اللام ، فقيل : أبدل من الضمة فتحة تخفيفا ، وقيل هو جمع سلفة مثل غرفة وغرف(٩٥) •

ولمــا ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون • وقالوا آآلهتنا خير أم هو مــا ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصــمون • ان هو

---

(٩٤) البحر المحيط ٢٣/٨ •
(٩٥) انظر السبق وحشية الجمل ٣٠٣/٤ •

الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل • ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون • وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم • ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين •

(ولما ضرب ابن مريم مثلا) ضرب : مبنى للمفعول ، ويحتمل أن يكون الفاعل ابن الزبعرى أو الكفار على ما جاء فى سبب نزول هذه الآيات •

مثلا : مفعول ثان لضرب ، أى جعل مثلا ، وقيل : هو حال ، أى ذكر ممثلا به • يصدون : قرىء بضم الصاد أى يعرضون عن الحق من أجل ضرب المثل ، وقرىء بكسرها أى يضجون ويعجون ويرتفع لهم حمية بضرب المثل(٩٦) • ويروى الفراء أن ابن عباس لقى ابن أخى عبيد بن عمير فقال : ان ابن عمك لعربى (وهو عاصم الليثى بن عبيد ابن عمير) فما له يلحن فى قوله : (اذا قومك منه يصدون) بضم الصاد ، انما هى يصدون بكسر الصاد(٩٧) •

وقال الكسائى والفراء هما لغتان بمعنى ، مثل يعرشون ويعرشون ومثل يشد ويشد وينم وينم من النميم • ويصدون منه وعنه سواء ، فهو يتعدى بمن وعن •

« وقالوا آلهتنا خير أم هو » خفف الكوفيون الهمزتين ، وسهل باقى السبعة الثانية بين بين ، وقرأ ورش فى رواية أبى الأزهر بهمزة واحدة على مثال الخبر :

فاحتمل أن تكون همزة الاستفهام محذوفة لدلالة (أم) عليها ، واحتمل أن يكون خبرا محضا ، حكوا أن آلهتهم خير ، ثم عن لهم أن

---

(٩٦) البحر المحيط ٢٥/٨ ، ومعانى القرآن للفراء ٣٦/٣ •
(٩٧) معانى القرآن ٣٦ ، ٣٧ •

يستفهموا على سبيل التنزيـــل من الخبر الى الاستفهام المقصـــرد به الافحام ، وهذا الاستفهام يتضمن أن آلهتهم خير من عيسى .

والظاهر أن الضمير في (أم هو) لعيسى لتناسق الضمائر في قوله : ان هو الا عبد . وقال قتادة : يعود على النبي صلى الله عليه وسلم ، أنعمنا عليه بالنبوة وشرفناه بالرسالة .

وقوله (أم هو) عطف على آلهتنا ، وهو من عطف المفـــردات ، والتقدير أآلهتنا أم هو خير ، أى أيهما خير ، وعلى قراءة ورش يكون (هو) مبتدأ وخبره محذوف تقـــديره : بل أهو خير ، وليست (أم) حينئذ عاطفة(٩٨) .

« ما ضربوه لك الا جدلا » جدلا : مفعول من أجله ، أى لأجـــل الجدال والمراء ، لا لاظهار الحق ، وقيل : هو مصدر فى موضع الحال ، أى الا مجادلين ، وانما ضربوا هذا المثل خصـــومه بالباطل لعلمهم أن (ما) فى قوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) لغير العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام .

« بل هم قوم خصمون » أى شديدو الخصومة ، لأن (فعل) بفتح فكسر من أبنية المبالغة .

« ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون » :

قال بعض النحـــويين : (من) تكون للبدل ، أى جعلنـــا بدلكم ملائكة ، وجعل من ذلك قوله تعالى : (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) وقـــول الشاعر :

أخذوا المخاض من الفصيل غلبة ظلما ويكتب للأمـــير أفالا

(٩٨) حاشية الجمل على الجلالين ٩٢/٤ .

أى بدل الفصيل • وبعضهم لا يثبتون لمن معنى البدلية ويتأولون ما يوهم ذلك •

وقال الزمخشرى : « لجعلنا منكم ، لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفون فى الأرض ، كمـا يخلفكم أولادكم ، كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل ، لتعرفوا تميزنا بالقـدرة الباهرة ، ولتعلموا أن الملائكة أجسام ، وذات القديم متعالية عن ذلك »(٩٩) •

قال أبو حيان : « وهو تخريج حسن ، ونحو من هذا التخريج قول من قال : لجعلنا من الانس ملائكة وان لم تجر العادة بذلك » (١٠٠) •

« وانه لعلم للساعة » الضمير فى وانه يعود على عيسى ، وذلك لأن نزوله من السماء فى آخر الزمان شرط من أشرط الساعة • وقيل : يعود على القرآن ، على معنى أنه يدل على قرب الساعة وقرأ الجمهـور (لعلم) مصدر علم ، قال الزمخشرى : أى شرط من أشراطها تعلم به ، وقرأ ابن عباس وأبو هريره وأبو مالك الغفارى وزيد بن على وقتـادة ومجاهد الضحاك ومالك بن دينـار والأعمش والكلبى (لعلم) بفتح العين واللام ، أى لعلامة •

« واتبعون » بحذف الياء خطا ، لأنها من آيات الزوائد ، واما فى اللفظ فيجوز اثباتها وحذفها وصلا ووقفا أو قيل التـقدير : وقل لهم اتبعون ، وحذرهم أيضا وقل لهم لا يصدنكم الشيطان فتكون جملـة ولا يصدنكم معطوفة على (اتبعون) الذى هو مقول القول فهو مقول أيضا وقيل : الكل من كلام الله تعالى ، أى اتبعوا هـديى أو شرعى أو رسـولى •

---

(٩٩) الكشاف ٣/٤٩٤ •
(١٠٠) البحر المحيط ٨/٢٥ •

«ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون • ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم • فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم • هـل ينظرون الا السـاعة أن تأتيهم بغتـه وهم لا يشعرون » •

(ولأبين لكم) معطوف على (بالحكمة) أى وجئتكم لأبين لكم ، والاتيان بالعاطف للاهتمام بشأن العلة بتخصيصها بفعل على حدة •

« فاختلف الأحزاب من بينهم » من بينهم : حال من الأحزاب ، والمعنى حال كون الأحزاب بعضهم ، أى بعض النصارى ، اذ بقى منهم فرقة مؤمنة يقولون ان عيسى عبد الله ورسوله •

« فويل للذين ظلموا » ويـل : مبتدأ والجـار والمجرور متعلق بمحذوف خبر أى فعذاب كائن وحاصل للذين ظلموا • (من عذاب يوم أليم) خبر ثان أو حال ، أى حال كونه كائنا من عذاب يوم القيـامة لا من عذاب الدنيا •

« هل ينظرون الا السـاعة أن تأتيهم بغتـة » أن تأتيهم : بدل اشتمال من الساعة ، بغتة : مصدر منصوب على الحال •

وقرأ الجعفى وهرون عن أبى عمرو (بغتة) بفتح الغين وتشديد التاء ، وهى صفة ، وانتصابها على الحال لا نظير له فى المصدر ولا فى الصفات ، بل فى الأسماء نحو الحرية وهو اسم جماعة والسرية اسم مكان(١٠١) •

« الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين • يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون • الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين •

---

(١٠١) انظر البحر المحيط ٨٠/١ ، والتذييل ٩٧/٦ •

ادخلوا الجنة انتم أوزواجكم تحبرون • يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون•وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون • لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون » •

« الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين » الأخلاء : مبتدأ، وبعضهم : مبتدأ ثان ، وعدو : خبره : والثانى وخبره خبر الأول • و « يوم » ظرف زمان منصوب بعدو ، والفصل بالمبتدأ لا يمنع العمل والتنوين فى (اذ) عوض عن جملة تقديرها يوم اذ تأتيهم الساعة : والخليل : الصديق والجمع اخلاء كأصدقاء ، ويجمع الخليل أيضا على خلان • والمعنى : الأخلاء يتعادون يومئذ لانقطاع العلق بينهم وظهور ما كانوا عليه فى الدنيا •

« يا عباد لا خوف عليكم » قرىء يا عبادى بالياء ، وهو الأصل ، ويا عباد بحذفها وهو الأكثر ، وكلاهما فى السبعة ، وتقدم بيان ذلك عند قوله تعالى (يا قوم أليس لى ملك مصر) •

وقرأ الجمهور (لا خوف) بالرفع والتنوين اما مبتدأ ، واما اسما لها وهو قليل •

وقرأ ابن محيض بالرفع من غير تنوين على حذف مضاف وانتظاره تقديره لا خوف شىء عليهم •

وقرأ الحسن وابن أبى اسحق بالفتح من غير تنوين على (لا) التبرئة ، وهى عندهم أبلغ •

« الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين » الذين آمنوا : صفة لعبادى ، وجملة (وكانوا مسلمين) حال من الواو أى الذين آمنوا مخلصين ، ويجوز العطف على الصلة الا أن اعتبارها حالا أبلغ وآكد فان كلمة كان تدل على الاستمرار •

(يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب) أكواب جمع كوب ، وأتى به جمع قلة وبالصحاف جمع كثرة لأن المعهود قلة أوانى الشرب بالنسبة الى أوانى الأكل •

(وتلك الجنة التى أورثتموها) تلك الجنة : مبتدأ وخبر ، والتى أورثمتوها صفة الجنة ، وبما متعلق بأورثتموها • ويجوز أن تكون (تلك) مبتدأ و (الجنة) صفة ، و (التى أورثتموها) خبرا • ويكون بما متعلق بأورثتموها أيضا • ويجوز أن يكون الخبر (بما كنتم تعملون) وما قبله صفتين ، فيكون (بما) متعلقا بمحذوف •

« ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون • لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون • وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين • ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون • لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون » •

« لا يفتر عنهم » حال أو خبر ثان •

« ولكن كانوا هم الظالمين » قرأ الجمهور (الظالمين) بالياء على انه خبر كان و (هم) فصل •

قال سيبويه : « وأعلم أن ما كان فصلا لا يغير ما بعده عن حاله التى كان عليها قبل يذكر نحو حسبت زيدا هو خيرا منك وقد زعم ناس أن (هو) هاهنا صفة ، فكيف يكون صفة وليس من الدنيا عربى يجعلها ها هنا صفة للمظهر ، ولو كان ذلك كذلك لجاز مررت بعبد الله هو نفسه ، فهو ها هنا مستكرهة لا يتكلم بها العرب ، لأنه ليس من مواضعه عندهم ، ويدخل عليهم ان كان زيد لهو الظريف ، وان كنا لنحن الصالحين ، فالعرب تنصب هذا والنحويون أجمعون ، ولو كان صفة لم يجز أن يدخل عليه اللام ، لأنك لا تدخلها فى ذا الموضع على

الصـــفة فتقول : ان كان زيد للظريف عاقلا • ولا يكون هو ولا نحن ها هنا صفة وفيها اللام »(١٠٢) •

وقرأ عبد الله وأبو زيد النحويان (الظالمون) بالرفع عـلى انه خبر (هم) وهم : مبتدأ •

قال سيبويه : وقد جعل ناس كثير من العرب (هو) واخواتها فى هذا الباب بمنزلة اسم مبتدأ ، وما بعده مبنى عليه ، فكأنك تقــول : أظن زيدا أبوه خير منه •• فمن ذلك انه بلغنا أن رؤبة كان يقول : أظن زيدا هو خير منك •وحدثنا عيسى أن ناسا كثيرا يقرءون « وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمون » وقال قيس بن ذريح :

تبكى على لبنى وأنت تركتها   وكنت عليها بالملا أنت أقدر(١٠٣)

« ونادوا يا مالك » قرأ الجمهور : يا مالك ، وقرأ عبد الله وعلى وابن وثاب والأعمش : يا مال بالترخيم على لغة من ينتظر الحـــرف ، وقرأ أبو السرار الغنوى : يا مال بالبناء على الضم ، جعل اســـما على حياله على لغة من لا ينتظر الحرف • وقيل لابن عباس : ان ابن مسعود قرأ (ونادوا يا مال) فقال : ما أشغل أهل النار عن الترخيم • وعن بعضهم : حسن الترخيم انهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه •

(ليقض) اللام لام الطلب والرغبة ، ويعبر أكثر النحويين عنهـــا بلام الأمر لأنه أصل فيها ، وتدخل على المضارع فتحوله الى أمر كما قال أبو طالب :

---

(١٠٢) الكتاب ٣٩٥/١ •

(١٠٣) السابق نفس الصفحة ، ويذكر الشاعر تتابع نفسه للنبى بعد طلاقها • وأعلا : ما اتسع من الأرض •

يا رب اما تخــرجن طـــالبى
في مقــنب من تلك المقـــانب
فليكن المغـــلوب غير الغـــالب
وليكن المسلوب غير السالب(١٠٤)

تكون هذه اللام مكسورة حملا على حركة مقابل الجزم وهو الجر ، لأنهما متقابلان(١٠٥) •

« أم أبرموا أمرا فانا مبرمون • أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون • قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين • سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصــفون • فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون » •

« أم أبرموا » أم منقطعة بمعنى بل والهمزة فالأولى للانتقال من توبيخ أهل النار وحكاية حــالهم الى حكاية جناية هــؤلاء المشركين ، والثانية للانكار •

« أم يحسبون » أم بمعنى بل والهمزة أى بل أيحسبون •

« ورسلنا لديهم يكتبون » الجملة حالية مرتبطــة بما تفيده بلى وهو « نسمع ذلك » •

« قل ان كان للرحمن ولدا فأنا أول العــابدين » ان : شرطيــة والمعنى : ان كان للرحمن ولد وثبت ذلك وصح ببرهان صــحيح فأنا أول من يعظم ذلك لولد ، وقيل « العابدين أى الآنفين ، من عبد يعبد اذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد وهو مردود لأنه يقال عبد ، وقلما يقال

---

(١٠٤) المقنب : بكسر الميم وفتح النون : جماعة الخيل •
(١٠٥) انظر التذييل والتكميل ٧٤٦/٦ ، ٧٤٧ •

عابد ، والقرآن لا يأتى بـالقليل من اللغة وقيل : ان كـان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين لله المكذبين قولكم .

وقيل : (ان) نافية ، أى ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد .

وقيل : « لا يجوز أن تكون (ان) نافيه لأنه يوهم انك نفيت عن الله الولد فيما مضى دون ما هو آت وهذا محال » . والأولى انه لا يلزم منه محال لأن (كان) قد تستعمل فيما يدوم ولا يزول كقولك : « وكان الله غفورا رحيما » أى لم يزل ، فالمعنى ما كان وما يكون .

« سبحان رب السموات والأرض » « سبحان » زعم أبو الخطاب أن سبحان الله كقولك : براءة الله من السوء ، كأنه يقول : أبرأ براءة الله من السوء ، وزعم أن مثله قول الأعشى :

أقول لما جـاءنى فخره ســبحان من علقمة الفاخر

أى براءة منه .

وأما التنوين فى سبحان فانما ترك صرفه لأنه صار عندهم معرفة ، وانتصابه كانتصاب الحمد لله .

وزعم أن قول الشـاعر :

سلامك ربنا من كل فجر برئيا ما تغنثك الذموم

على قوله : برأتك ربنا من كل سوء . فكل هذا ينتصب انتصـاب حمدا وشكرا . الا أن هذا ينصرف وذلك لا ينصرف .

ونظر سبحان الله فى البناء من المصادر والمجـرى لا فى المعنى : غفران ، لأن بعض العرب يقول : غفرانك لا كفرانك ، يريد استغفارا لا كفرا وقد جاء (سبحان) منونا فى الشعر ، قال الشاعر :

سبحانه ثم سبحانا نعوذ به(١٠٦) .

« فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون »
يخوضوا ويلعبوا : مجزومان فى جواب الأمر وقرأ الجمهور: يلاقوا وقرأ بعضهم : يلقوا ، مضارع لقى . وأضاف اليوم اليهم لأنه الذى فيه هلاكهم وعذابهم .

« وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله وهو الحكيم العليم . وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما واليه ترجعون . ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون»
« وهو الذى فى السماء اله » فى السماء متعلق باله لأنه بمعنى معبود ، أى معبود فى السماء ومعبود فى الأرض وحينئذ فيقال : الصلة لا تكون الا جملة أو ما فى تقديرها وهو الظرف وعديله ، ولا شىء منهما هنا ، والجواب أن المبتدأ حذف لدلالة المعنى عليه ، وذلك المحذوف هو العائد وتقديره : وهو الذى هو فى السماء اله وهو فى الأرض اله ، وانما حذف لطول الصلة بالمعمول ، فان الجار متعلق باله ، ونظيره ما أنا بالذى قائل لك سوءا . ولا يجوز أن يكون الجار والمجرور خبرا مقدما واله مبتدأ مؤخر لئلا تعرى الجملة من رابط اذ تصير نظير جاء الذى فى الدار زيد .

ولا يصح أن يكون (اله) مرفوعا بالظرف ، فان جعل فى الظرف ضميره يرجع على الذى وأبدلت الهاء منه جاز على ضعف ، لأن الغرض الكلى اثبات الهيبة لا كونه فى السموات والأرض . فالأصح أن (اله) خبر مبتدأ محذوف كما تقدم وسهل حذفه وقوع الموصول خبرا عن مضمر فلو ظهر الراجح لكان التكرار المستكره اذ كان أصل الكلام (وهو الذى فى السماء هو اله) .

---

(١٠٦) انظر سيبويه ٣٢٤/١ هارون .

« ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق » .

قيل : استثنى ممن عبد من دون الله عيسى وعزيزا والملائكة فانهم يملكون الشفاعة اذ هم ممن شهد بالحق ، فالاستثناء على هذا مفصل . وقيل : (من) للمشفوع فيهم كأنه قال لا يشفع هؤلاء الملائكة وعزيز وعيسى الا فيمن شهد بالحق ، فهو استثناء من المفعول المحذوف ، كما قال الشـــاعر :

نجا سالم والنفس منه بشدقه ولم ينج الا جفن سيف ومئزار

وهو متصـــل . فان جعلتـــه من الذين يدعون فيكون منفصلا . والمعنى : ولا يملك آلهتهم الشفاعة ولكن من شهد بالحق ، وان أدركت الملائكة فى الذين يدعون كان استثناء متصلا(١٠٧) .

« ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون . وقيله يا رب أن هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون » .

(وقيله) قرأها الجمهور بالنصب فعن الأخفش انه معطوف على سرهم ونجواهم ، وعنه أيضا على : وقال قيله . وعن الزجاج : عـــلى محل الساعة فى قوله : (وعنده علم الســـاعة) . وقيل : معطوف على مفعول يعلمون ، أى يعلمون الحق وقيله يا رب ، وهو قـــول لا يكاد يعقل . وقيل : منصوب على اضمار فعل ، أى ويعلم قيله .

وقرىء (وقيله) بالخفض ، وخرج على انه عطف على الساعة ، أو على أنها واو القسم والجواب محذوف ، أى لينصرن أو لأفعلن بهم ما أشـــاء .

---

(١٠٧) البحر ٢٩/٨ ، ٣٠ .

وقرىء (وقيله) بالرفع ، وخــرج على أنه معطــوف على علم الساعة ، على حذف مضاف ، أى وعلم قيله ، حذف وأقيم المضاف اليه مقامه ، وروى هذا عن الكسائى • وعلى الابتداء وخــبره يا رب الى لا يؤمنون ، أو عــلى أن الخبر محذوف تقــديره مسموع أو متقبل ، فجملة النداء وما بعده فى موضع نصب بقيله(١٠٨) •

وقال الزمخشرى : « والذى قالوه يعنى من العطف ليس يقوى فى المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليــه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم • وأقــوى من ذلك والوجــه أن يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه • والرفع على قولهم : أيمن الله وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ، ويكون قــوله : (ان هؤلاء قــوم لا يؤمنون) جواب القســم ، كأنه قال : وأقســم بقيله ، أو وقيله يا رب ، قسمى • ان هؤلاء لا يؤمنون • واقســام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه »(١٠٩) قال أبو حيان : « وهو مخالف لظاهر الكلام اذ يظهر أن قــوله (يا رب) الى (لا يؤمنون) متعلق بقيله ، ومن كلامه عليه السلام ، واذا كان (ان هؤلاء) جواب القسم كان من اخبار الله عنهم وكلامه •

« يا رب » قرأ أبو غلابة (يا رب) بفتح الباء أراد يا ربا كمــا تقول (يا غلام) ويتخرج على جواز الأخفش (يا قوم) بالفتح وحذف الألف والاجتزاء بالفتحة عنها •

---

(١٠٨) انظـر البحـر المحيط ٣٠/٨ ، واملاء ما من به الرحمن ٢٢٩/٢ •

(١٠٩) الكشاف ٤٩٨/٣ •

« وقل سلام فسوف يعلمون » :

(سلام) خبر مبتدأ محذوف أى أمرى سلام .

(فسوف يعلمون) قرأ الجمهور بياء الغيبة ، وقرأ بعضهم بتـاء الخطاب لزيادة التهديد والتقريع والله أعلم .

والحمد لله أولا وآخرا ...

د . عبد المعطى جاب الله سالم